

مَجَلة شَهرِيَّة اسْلاميَّة أَدبيَّة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٣)	محرم الحرام ١٤٣٣ ھ
العدد الثاني عشر	ديسمبر ٢٠١١ م

المشرف العام

عبد اللّٰه سعود بن عبد الوحيد

رئيس التحرير

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	صوت الأمة بی ١ / ١٨ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التاليف والترجمة، ریوری تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الهند (١٥٠) روبية، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخة (١٥) روبية

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١

المنشور لا يعبر إلا عن رأي كاتبه

محتويات العدد

العنوان	الصفحة
الافتتاحية:	
١ – وحدة الأمة – أمام تحديات	
أسعد أعظمي بن محمد أنصاري	٣
عبر ومواعظ:	
٢ – العلم يدعو للإيمان: التوازن	
معالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر	٧
توجيهات إسلامية:	
٣ – فقر حلال خير من غنى حرام	
د. وليد خالد الربيع	١١
آداب إسلامية:	
٤ – آداب صلاة الخوف	
الشيخ لطف الحق المرشد آبادي	١٤
آفاق إسلامية:	
٥ – شهداء بغير قتال	١٨
الدعوة والإرشاد:	
٦ – إلى متى هذه الغفلة ؟	
عبد الوكيل مسرور عبد الهادي	٢٥
اللغة والأدب:	
٧ – الإعراب عن قضية الإعراب	
وسيم المحمدي	٢٩
أعلام الأدب:	
٨ – العلامة محمد بن يوسف السورتي	
محمد عمير سفيان الإصلاحي	٣٧
تعريف وتنويه:	
٩ – انطباعات عن كتاب: جائزة الأحوذي	
الشيخ المحدث عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل العقيل	٥١
١٠ – قراء ة في كتاب "الشيعة والسنة" للأستاذ إحسان إلهى ظهير	
شفيق الإسلام	٥٣
ركن الطلاب:	
١١ – الصحابة رضي الله عنهم	
عبد الفتاح عبد الودود	٥٧
من أخبار الجامعة:	
١٢ – وفد نصراني في زيارة للجامعة السلفية للتعرف على الإسلام	٦٠

الافتتاحية

وحدة الأمة – أمام تحديات

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

الأمة الإسلامية البالغ عدد أفرادها نحو مليار ونصف مليار المنتشرين في جميع قارات العالم، ويشكلون خمس سكان الكرة الأرضية، كانت قد وصفت في قرآنها بأنها أمة واحدة، وعلى لسان نبيها أنها أمة أفرادها كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، أصيبت هذه الأمة بانقسامات وانشقاقات تنحت بها عن وحدتها وتآلفها، وأفقدتها قوتها ومكانتها، فأصبحت غثاء كغثاء السيل، فاقدة المهابة مسلوبة المكانة، تحيطها تقسيمات لا تحصر، وفوارق لا تعد، وألوان لا تحصى، ومقاييس لا ينقضي منها العجب.

هناك تقسيمات لا يدلها ولا لغيرها فيها، كالتقسيمات الجغرافية باعتبار الأوطان، في الدول والقارات، فمسلمون: أميركيون، أوربيون، أفريقيون، استراليون، آسويون، ثم مسلمون: يابانيون، هنود، إيرانيون، عراقيون، عرب، غير عرب، الخ. فهذا التقسيم يشبه أن يكون طبيعيا لا غبار عليه إذا لم يتحول إلى العنصرية أو العصبية الجغرافية والوطنية.

وهناك تقسيمات عقدية: سلفيون، أشاعرة، ماتريدية، معتزلة، خوارج، الخ وكذلك شيعة وسنة.

وتقسيمات على أسس فكرية: سلفيون، إخوان، قطبيون، مودوديون، تكفيريون، الخ.

وتقسيمات مذهبية: أحناف، شوافع، موالك، حنابلة، مقلدون، غير مقلدين الخ.

وتقسيمات طرقية: قادريون، جشتيون، رفاعيون، تيجانيون، شاذليون الخ.

وفي كل هذه الطوائف والفرق متطرفون ومعتدلون ومتساهلون.

وكذلك هناك تقسيمات وانتماءات لسانية، وهي أيضا غير مصطنعة، لكنها قد تشتد حدتها، لدى بعض أهل اللغات ذات الحساسية العالية، فتنقلب إلى مبدأ الولاء والبراء والصداقة والعداء، بل قد تؤدي إلى انقسام الدول إلى دويلات على أسس لسانية، رامية عرض الحائط كل مبادئ الوئام والتآلف والتآخي الشرعية والإنسانية والاجتماعية.

ومن التقسيمات أيضا تقسيمات يمكن أن نطلق عليها ثقافية. فمسلمون متطورون ، متنورون، وآخرون متحجرون، جامدون. وأفراد كل جماعة تنظر إلى الآخرين نظرة سخرية وازدراء، وترميهم بألقاب وتسميات تعجز عن تصويرها كل مصطلحات الجرح والنقد المعروفة عبر القرون. وقد وجد هذا التقسيم في الآونة الأخير دعما سخيا ماديا ومعنويا من الجهات المشبوهة لأغراض معلومة ومدبرة.

ولا يخفى أمر الانتماءات القبائلية في كثير من المناطق العربية وغير العربية، وقد يأخذ هذا الانتماء لدى البعض شكل التعصب الشديد المقيت على حد قول الشاعر:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

وهناك تقسيمات فكرية سياسية أيضا: اشتراكيون ، بعثيون، لبراليون، علمانيون، الخ. وهذه التقسيمات ذات صبغة عالمية، وهناك تقسيمات سياسية تخص كل قطر وكل ولاية ذات أحزاب سياسية وطنية أو محلية، ونجد من المنتسبين إليها من المسلمين من يبالغ في إخلاصه وتفانيه لحزبه وتعليمات حزبه مبالغة فوق كل تصور، ويوالي ويعادي الآخرين من المسلمين وغير المسلمين على هذا الأساس.

هذه التقسيمات كلها معروفة ومشهورة لدى الناس عبر القرون، وليس فيها ما نعتبره جديدا أو ما يبعث على الاستغراب كثيرا. وليست هي كل التقسيمات الموجودة في الساحة. وإنما هي نماذج، وغيض من فيض، وكتب الملل والنحل والأحزاب والفرق القديمة منها والحديثة تعكس الصورة حق العكس، وتوضح ملامح الامتيازات وعلامات الافتراق بين بعضها عن بعض. يقول الأستاذ أحمد أمين:

"لقد كثرت المذاهب والنحل في ذلك العصر (العصر العباسي) كثرة مدهشة حتى يصفهم المأمون فيقول: وطائفة قد اتخذ كل رجل منهم مجلسا اعتقد به رئاسة لعله يدعو فئة إلى ضرب من البدعة، ثم لعل كل رجل منهم يعادي من خالفه في الأمر الذي عقد به رئاسة بدعة ويشيط بدمه، وهو قد خالفه من أمر الدين بما هو أعظم من ذلك، إلا أن ذلك أمر لا رئاسة له فيه فسالمه عليه .. الخ، وتستعرض أسماء الفرق والمذاهب في كتاب الملل والنحل للشهرستاني فندهش لكثرتها واختلافاتها". (ضحى الإسلام ج١)

وهناك تقسيمات أو علامات تمييزية يميز بها مجموعة نفسها عن غيرها، ولكنها تخفى على كثير من الناس ولا تجلب انتباههم، وقد توجد في كل قطر أو في كل مجتمع، وتكون لها صبغة محلية أو وطنية، منها ارتداء كل طائفة بأزياء وملابس ترمز إلى انتمائها

العقدي أو الفكري. (ولا نتكلم هنا عن نوعية الملابس التي اتخذت صبغة قومية مثلا، نوعية ملابس العرب، نوعية ملابس الأوربيين، نوعية ملابس سكان شبه القارة الهندية الخ، فهذه يمكن أن نغض عنها الطرف بأنها تقسيمات شبه طبيعية، قد يفرضها التقسيمات الجغرافية أو ما يشبهما) فهناك طوائف تستطيع أن تسمي رجالها بمجرد النظر إلى قلانس رؤوسهم، هل هم من هذه الفرقة أو تلك، وهكذا نوعية القميص والسروال أيضا قد تساعدك في الوصول إلى الانتماء العقدي والفكري، بل نوعية وطراز ملابس الحجاب التي ترتديها النسوة قد تحدد ذلك أيضا في بعض الطوائف والفرق.

والمعابد التي بنيت لعبادة الله وحده لم تكن بمنأى عن هذا التقسيم وهذه الطائفية، فتجد نوعية بنائها وتلوينها توحي إلى الطائفة التي هي مختصة بها وأنها ممنوعة للآخرين، وقد يؤكد ذلك بالكتابة الصريحة على جدران المسجد أو لوحات خاصة بأنه ملك للفرقة الفلانية، وقد تصل الوقاحة بالبعض إلى أن يصرح بأنه غير مسموح للآخرين ممارسة العبادة في هذا المسجد، والعياذ بالله.

والمدارس والجامعات الدينية هي الأخرى تخضع لهذا التقسيم وهذه الطائفية مثل المساجد تماما، ولا يخفى أمر المطبوعات من الكتب والجرائد والمجلات وما تحمله من صبغة تمييزية بأشكالها ومضامينها.

وهناك تقسيمات على أسس طبقات أيضا، فرغم اعتراف الجميع بأن الاسلام دين المساواة وأنه لا فضل فيه لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، ورغم توجيه المطاعن إلى الديانات التي يوجد فيها هذا النوع من الطبقية نجد المسلمين في كثير من أقطار الأرض غرقى في أوحال نظام الطبقات ، عاضين عليه بالنواجذ، منقسمين على أسس مهنية وحرفية، إلى شرفاء سادة وأسافل منبوذين ، وبين هؤلاء وأولئك عشرات الطبقات في درجات متفاوتة من الشرف أو الذل المصطنعين. وللأسف هذا النظام الممقوت معمول به لدى المهتمين به بعناية واهتمام بالغين، ولا يستسيغون الخروج عنه في حال من الأحوال إلا من رحم الله.

وبالاختصار واكتفاء بما ذكر، رغم وجود طامات نقول: يمكن لنا أن نتصور مدى الجهود والتضحيات التي يطلبها أمر الإصلاح وعمل توحيد الأمة والعودة بها من ظلمات التفرق والتمزق إلى نور الوحدة والألفة، ولكن لا حاجة للاستسلام لليأس والقنوط، ولا مبرر لجلوسنا مكتوفي الأيدي أمام هذا الواقع المرير، معترفين بلسان حالنا أو مقالنا بعجزنا عن

أي إصلاح أو تغيير، معللين بتفاقم الأمر وبلوغ السيل الزبى، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

إن علماء الأمة وقادتها فيهم الأمل بعد الله عز وجل أن يقيسوا حجم المأساة ويقدروا النتائج الوخيمة لهذا التشتت والتفرق، ومن ثم يتحركوا للإدلاء بدلوهم للتغيير والإصلاح، فإن كان لهم أو لبعضهم يد أو تشجيع أو رضا بهذه الانتماءات والانقسامات فليتقوا الله في أنفسهم وفي أمتهم، وليشعروا خطر الافتراق والطائفية، وليعودوا إلى رشدهم، ثم يقوموا بدورهم نحو الجمع والتأليف، ومحاولة تقليل الخلافات القائمة وسد الفجوات الموجودة واحدة بعد واحدة، بالحكمة واللين والرفق، آخذين في بالهم قول الرب جل وعلا: (وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم –الأنفال: ٦٣) وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

ثم لنذكر أنفسنا وغيرنا بقوله سبحانه: (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم –الانفال: ٤٦) أليست أوضاعنا الراهنة من الضعف والفشل وذهاب الريح والرعب عقابا من الله على التنازع والتفرق المتغلغل فينا نحن المسلمين، وهل ضعفنا وانهزامنا بسبب قلة العدد أو قلة المال أو قلة الوسائل المادية الأخرى، أو بسبب آخر وهو ما أشار إليه الآية الكريمة.

والقرآن الكريم قد وصف المؤمنين بأنهم "إخوة" وبأنهم "أشداء على الكفار رحماء بينهم" وأنهم "أذلة على المؤمين أعزة على الكافرين" . فهل أوضاعنا الحالية تسمح لنا بإطلاق هذه الأوصاف علينا، وهل نجد الأمة – ذات التقسيمات المذكورة – تجاهد في الوصول إلى هذه المراتب العالية المذكورة في الآيات الكريمة أو تتباعد عنها يوما بعد يوم بتفرقها وقيام بعضها في وجه بعض. فهل نحن نرضى بالبقاء والاستمرار في هذه الدناءة وفي هذا الخزي والعار، وفي هذا البعد عن الوصف الرباني ؟ لا أحد من العقلاء يجيب على هذا السؤال بالإثبات. فكيف السبيل إلى التغيير؟ وما هي مسؤولياتنا في هذا الموقف الحرج؟ هذا ما نتدارسه في الحلقة القادمة بإذن الله.

(يتبع)

***

عبر ومواعظ

العلم يدعو للإيمان: التوازن

معالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية بالرياض

لو نظر أي واحد منا، إلى إنسان يحاول الوقوف على قدم واحدة، فإنه لا شك سيلاحظ عدم القدرة من هذا الإنسان على الثبات واقفا، إلا بعد الاتكاء على جدار أو الاعتماد على شاخص: كالعصا أو العمود أو غير ذلك، وكل منا معرض للسفر، فإذا ركب أي فرد منا في سفينة، أو وقف على حافة ماء تحركه الرياح فإنه سيصاب بالدوار.

وهكذا لو سرنا مع الإنسان، في كثير من مواقفه، فإننا سنلاحظ عليه أمورا في نظراته وعدم تركيز العين وفي مشيته حيث لا تستقيم في بعض المواقف، فيصيبه بعض الترنح والميلان حسبما يسمونه.

وفي بعض الحالات قد يكون هذا الطارئ خطيرا أو قد يودي بالحياة عندما يختل التوازن والإنسان على حافة بئر أو حفرة عميقة، فيدفعه ذلك للسقوط فيها، أو سار على جدار شاهق فقد يقع منه، أو غير هذا من مواقف تؤثر في توازن الإنسان، بأماكن خطرة كالعمال في العمائر الطويلة وغير ذلك.

والتوازن في الإنسان سر من أسرار النفس البشرية، يستقيم مع استقامة الجسم، وتوازن الغذاء فيه، أو عدم أخذ قسط كاف من النوم، فيتعب الجسم نتيجة ذلك، وصدق الله العظيم في قوله: {وجعلنا نومكم سباتا} (النبأ: ٩)، قال المفسرون: أي راحة لأبدانكم.

فيختل الجسم بقواه، مع أي مؤثر يعتري المخ، أو يخل بوظائف الغذاء في هذا الجسم، ولما كان العقل هو قوام الإنسان، وسر التكاليف الشرعية، لذا فإن أي مؤثر لاختلاله، بأي سبب من الأسباب: من صِغَر أو جنون أو نوم، مما يجعل التكاليف الشرعية، تخفف ويرفع عن صاحبها القلم، لأن العقل الذي جعله الله مخاطبا بالتكاليف، هبة من الله سبحانه فإذا سلبه الله من الإنسان تسقط بذلك التكاليف والواجبات، كما أبان ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم،

الذي علمه ربه ما يجب على النفس البشرية، وما سقط عنها، واقتران ذلك بالعقل ومكانته وفاءأو نقصانا.

فيقول صلى الله عليه وسلم: (رُفع القلم عن ثلاثة: النائم حتى يستيقظ، والصغير حتى يكبر، والمجنون حتى يفيق) متفق عليه، ومن هذا المنطلق، جاءت شريعة الإسلام، بالتشديد في المحافظة على الضرورات الخمس ومنها العقل، وتحريم ما يؤثر فيه كالخمر، التي سميت في الشريعة بأم الخبائث ، وأم الكبائر، لأنها تخامر العقل، وتسيطر على مراكز الاتزان في الجسم، علاوة على إفسادها الخلايا الدقيقة في الكبد والمخ، ولذا عرفت بأنها مبعث الشرور، ورأس كل خطيئة يقترفها الإنسان، وعلاوة على أنها تقود للجريمة فإنها تهلك الجسم. والتفاعلات في جسم الإنسان، أمرها عجيب وحركتها قوية ونافذة. فأي شيء يدخل الجسم، فإن أجهزة الإحساس، المرتبطة بالجهاز العصبي المركزي تصدر الإنذار بالخطورة، وتعطي أوامرها في الجسم كله، ليتم التفاعل إزاء الإحساسات الناتجة، من الإثارة كما يتم في هذا الأثناء إجراء الظواهر الغريبة، والرائعة للفكر والإرادة والشعور حتى يتحقق بتوفيق من الله للجسم إنذارات تدافع عنه وتحركات تقي من المخاطر، فكل ما خامر العقل وأفقد التوازن فهو مما نهي عنه شرعا لضرره العاجل أو الآجل.

ذلك أن المخ، الذي لم يستطع العلم الحديث بأبحاثه ومتابعاته، أن يخرج بمفهوم كامل عنه، ولا عن أسراره ونوعيات عمله، مع صغر حجمه، ولكن المفهوم السائد اليوم أنه بمثابة مركز العمليات في الأمور العسكرية حيث إن غرفة العمليات تهيأ في أحصن موقع في الدولة، وفي أكثر الأماكن أمانا وبعدا عن المخاطر، كما تحاط بإجراءات أمنية دقيقة وتحصينات دفاعية محكمة، واتصالات متطورة بسائر القطاعات العسكرية، في أطراف الدولة ليسهل أخذ وإرسال المعلومات والأوامر.

وهكذا المخ فإننا نلمس من أسراره وعجائب ما هيأه الله له، أنه في أعلا موقع من الإنسان وهو الرأس الذي خصه الله بالأجهزة بالغة الحساسية، كالنظر والسمع والشم والذوق، فهو مركز الإحساس في التوازن. وبالأعضاء المسيطرة على هذه الحواس، وحفظته العناية الإلهية، بعظام الجمجمة، التي هي من أصلب أعضاء عظام الجسم، وبالفراغات المحيطة به التي من مهمتها، وقايته من الصدمات، والتأثيرات المطلقة على الرأس أيا كان نوعها، فسبحان من خلقها وحماها بحكمته البالغة.

ويرتبط المخ والنخاع الشوكي، ويطلق عليهما الجهاز العصبي المركزي بالجهاز العصبي الطرفي، هي الأعصاب التي تأتي من سائر أنحاء الجسم ليأتي في اتصالها بالجهاز العصبي المركزي، أن تحمل في هذا الاتصال رسائل الحس بأي طارئ على البدن، كما تحمل في اتجاه مضاد، توجيهات من مركز الإحساس في الجهاز العصبي المركزي، وهو في المخ، للأعضاء في سائر الجسم لتؤدي دورها المطلوب، كما يعمل تماما في غرفة العمليات، في إعطاء الأوامر، وأخذ المعلومات في آن واحد لأن هذه الأجهزة متناهية الصغر أوجدها الله في جسم الإنسان، لتأخذ وتعطي بأقصى سرعة ممكنة، إلا أن أجهزة الإنذار المبكر في الجسم أدق عملا، وأسرع إبلاغا بالأخطار التي تؤثر في الجسم: كأثر الخمور، والمخدرات والمشروبات أو المأكولات الضارة على الجسم، وهذه الأشياء من الجنود الخفية التي تدافع عنا المخاطر {إن الله يدافع عن الذين آمنوا} (الحج: ٣٨). وما تحرم الخبائث كلها في شريعة الإسلام، إلا من الوقائية قبل استعمالها من مدافعة الله عن عباده المؤمنين.

وإذا رجعنا إلى الجسم عموما، ونظرة التوازن فيه فإننا نراه كتلة واحدة يؤثر فيه القليل فيشل حركته كلها، كما تعمل الكهرباء في تشغيل الأجهزة المتنوعة، فإذا انقطع التيار توقفت الحركة في الأجهزة كلها، وتعطل الانتفاع بها فكذلك الجسم مع ما أودع الله فيه من أعمال وأحاسيس، نراه إذا توقف عنه الغذاء طعاما أو شرابا تختل توازناته، وتنشل حركته وأول ما يبدأ بالترنح لأي طارئ على جهاز الإنذار وهو المخ، لأن أهم شيء يحرك التوازن: نقصان الغذاء أو دخول الجسم شيء من الحرمات: مفترا أو مخدرا أو الحرمان من النوم الكافي وهذا من حكمة الإسلام في التحريم، لأن الله سبحانه لم يحرم على عباده شيء إلا لحكمة بالغة ولضرر يبرز أمام الناس بمردوده على الجسم وخلاياه.

فالجسم نراه إذا توقف عنه الغذاء طعاما أو شرابا يختل التوازن فيه، وتنشل حركته أو نقص النوم بتعب أو إجهاد، ولذا فإن المتابعين للغذاء النباتي الذي أخرجه الله من الأرض لصالح الإنسان يلاحظون ما جعل الله فيه من توازن، تستقيم به حياة الإنسان، وينتظم به تقويم التوازن في مهمات جسمه وقدرته على العمل، ومن ثَمّ سلامة الأعضاء في أداء عملها، ومتى نقص في الغذاء جزئيات طفيفة: يطلق عليها علميا الفيتامينات، فإن التوازن في الأداء الوظيفي يختل، أما إذا زادت تلك الجزئيات عن حاجة الجسم، فإن إرادة العزيز الحكيم اقتضت أن يأخذ الجسم كفايته الدقيقة المحكمة، ثم يتخلص الجسم من الباقي بدون أي تأثير على

الوظائف الأخرى، أما إذا كان هذا النوع الغذائي مما يستهلك منه كميات في أوقات متقاربة، فقد هيأت القدرة الإلهية، للجسم عملا يتناسب مع ذلك الاحتياج، وذلك باختزان كمية احتياطية لوقت آخر، فسبحان من قدّر ذلك وحمانا من المخاطر، ولا يخطر ببال واحدمنا، دور المعامل في أجسامنا ولا كيفية عملها.

ونأخذ جزءا من كتاب المستخلص في الطب النباتي والطبيعي الذي تحدث عن أبرز المصادر الطبيعية للفيتامينات فقال:

١—فيتامين (أ) يعطي الجسم جمالا وبريقا، ويقاوم النقص والأمراض، وله مصدران: حيواني في الكبدة والكلى والزبدة والقشدة والحليب وزيت كبد الحوت، ونباتي في الجزر والمشمش والبطيخ الأصفر والبقدونس، والسبانخ والشمندر.

٢—فيتامين (ب) وهو عدة فيتامينات، وكلها ضرورية للجسم (ب١) يوجد في الأرز والقمح والشعير، والذرة والخضار الطازجة البطاطا والتفاح، و (ب٢) يسمى فيتامين الجمال، والعيون البراقة ويوجد في الخميرة والسبانخ والفاصوليا، والحمص والمشمش، والفول والحليب والبيض والسمك، ويؤدي نقصه إلى فقد التوازن وفقد النمو، و (ب٦) له أهمية كبيرة في مرونة الأعصاب، ويؤدي الحرمان منه إلى الصرع، والأمراض الجلدية، ويوجد في الحبوب والبطاطا والفاصوليا، والبرتقال والحليب واللحم الأحمر، و (ب ٧) ويعرف باسم (ب ب) ومن خصائصه المحافظة على الجلد، وله فاعلية في الدماغ والجهاز الهضمي، ويؤدي الحرمان منه إلى آفات جلدية، واضطرابات هضمية وعقلية، وفقر الدم، ويوجد في الخميرة والملفوف والجزر، والبندورة والبصل والعدس والتفاح والليمون والحليب، و (ج) يزيد تألق اللون ولمعانه، ويعزز قوى الجسم، ويصلح ما تفسده الأيام فهو مساعد للنمو، والتئام الجروح، وجبر كسور العظام، ونقصه يسبب النزيف الدموي في اللثة، (و) يؤدي نقصه إلى الشلل، وإسقاط الأجنة عند الحوامل، ويوجد في الخس، والبندورة، والجزر وصفار البيض، والجوز، وكثير من الزيوت.

فما أعظم لطف الله سبحانه بعباده، وما أكبر نعمه حيث سخر لهم ما في الأرض جميعا وأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث، وما يخل بتوازنهم.

***

توجيهات إسلامية

فقر حلال خير من غنى حرام

د. وليد خالد الربيع

يعتقد المسلم أن الله تعالى عليم حكيم، فقوله تعالى حق، وفعله حكمة، وهو سبحانه منزه عن العبث والظلم، ومن حكمته سبحانه أنه فضل بين عباده في الرزق» كما قال تعالى: {انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً}، وبيّن سبحانه أنه يوسع على بعض عباده ويضيق على بعضهم كما قال تعالى: {اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، وذكر لنا بعض حكمته من ذلك في قوله سبحانه: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}، فمصالح الخلق متعلقة باحتياج بعضهم لبعض؛ مما يعني تفاوتهم في الرزق والمراتب.

وقد أمر الله تعالى عباده بالسعي لكسب الرزق وابتغائهم من فضله مما يؤدي إلى رفعهم عن الحاجة والفقر، ويغنيهم عن السؤال والذلة، فقال تبارك وتعالى: {فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله} وقال تعالى: {وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله} وهذا خبر على سبيل المدح والثناء لهم لقيامهم بهذا الكسب الطيب.

فطموح الإنسان إلى الغنى أمر مشروع، وهو أمر فطري مغروس في النفس كما قال رسول الله ﷺ: «لو كان لابن آدم وادمن مال لابتغى إليه ثانياً، ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب»، وقال رسول الله ﷺ: «يهرَم ابن آدم ويشبّ فيه اثنتان: الحرص على المال، والحرص على العمر».

لكن الأمر المذموم هو الحرص على المال من أوجه غير مشروعة، والتطلع إلى الغنى السريع بالكسب الحرام، وهذا ما وقع فيه بعض الناس ـ وهم قلة ـ في حين أن أكثر المسلمين ـ ولله الحمد ـ يتورع عن الحرام ويتباعد عنه.

ومن هنا تأتي تلك المقولة الحكيمة التي تقرر أن الفقر الحلال خير من الغنى الحرام، فقد يبذل الإنسان الأسباب ومع ذلك يرزق القليل، ولا ينال ما يطمح إليه من الغنى، فهنا قد تسول له

نفسه سلوك الطرق المحرمة، وقد يزين له الشيطان ركوب الوسائل الممنوعة لبلوغ غايته وتحقيق أمله كما قال تعالى: {يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر} وقال تعالى: {الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا} أي: الشيطان يخوفكم الفقر.

والنصوص الشرعية تؤكد أن الكسب المحرم سيء العاقبة في الدنيا والآخرة كما قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه، أمن الحلال أم الحرام؟» أخرجه البخاري وزاد رزين: »فإذ ذاك لا تستجاب لهم الدعوة«، وقال ﷺ: «إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة»، وقال: «إن هذا المال خضر حلو، من أصابه بحقه، بورك له فيه، ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة إلا النار».

فتجنب الحرام من التقوى من العمل الصالح الذي يوصل المسلم إلى الجنة، فقد روى مسلم عن جابر أن رجلا سأل رسول الله ﷺ فقال: »أرأيت إذا صليت الصلوات المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئا، أأدخل الجنة؟ قال: »نعم« قال: »والله لا أزيد على ذلك شيئا«.

ولاجتناب الحرام بركة عاجلة كما قال سهل بن سعد رضي الله عنه: »من أكل الحرام عصته جوارحه، شاء أو أبى، علم أو لم يعلم، ومن كانت طعمته حلالا أطاعته جوارحه ووفق للخيرات«.

والنصوص الشرعية تقرر أن الفقر ليس عيبا، بل إن للفقراء فضائل تواسيهم وتصبرهم منها ما أخرجه البخاري في كتاب الرقاق في باب فضل الفقر عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: ما رأيك في هذا؟ فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع، قال: فسكت رسول الله ﷺ ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله ﷺ: ما رأيك في هذا فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري إن خطب ألا ينكح وإن شفع ألا يشفع وإن قال ألا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا«.

وقال ﷺ: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها

النساء«أخرجه البخاري، وقال النبي ﷺ:»قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجَدّ محبوسون، غير أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء«أخرجه البخاري

وقال ﷺ: «تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها«أخرجه البخاري.

وقال ﷺ: »يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام« أخرجه الترمذي، يوضح ابن القيم الحديث فيقول:»إن الفقراء يسبقون الأغنياء إلى الجنة لخفة الحساب، ثم إذا دخل الأغنياء الجنة فكل واحد يكون في منزلته على قدر حسناته وأعماله«اهـ.

فإن قيل: إن النبي ﷺ استعاذ من الفقر فقال: «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار إلى أن قال:» وشر فتنة الغنى، وشر فتنة الفقر»، وقال ﷺ: «تعوذوا بالله من الفقر والقلة والذلة، وأن تظلم أو تظلم»أخرجه أحمد وصححه الألباني، فالجواب ما قاله البيهقي: «أنه ﷺ إنما استعاذ من فتنة الفقر، دون حال الفقر، ومن فتنة الغنى دون حال الغنى»، وقال الغزالي: فتنة الغنى: الحرص على جمع المال وحبه حتى يكسبه من غير حله، ويمنعه من واجبات إنفاقه وحقوقه، وفتنة الفقر: الفقر المدقع الذي لا يصحبه خير ولا ورع حتى يتورط صاحبه بسببه فيما لا يليق بأهل الدين والمروءة، ولا يبالي بسبب فاقته على أي حرام وثب ولا في أي حال تورط. وقيل: المراد به فقر النفس الذي لا يرده ملك الدنيا بحذافيرها.

وأختم بما نقل عن ابن مسعود أنه قال: »ما من يوم إلا وملك ينادي: يا ابن ادم قليل يكفيك خير من كثير يُطغيك«.

فعلى المسلم أن يقنع بما قسم الله له، ويرضى به، وينظر إلى من فضل عليه في الدين فيعمل ويجتهد ليرتقي مثله، وينظر إلى من هو دونه في الدنيا ليعلم فضل الله عليه فيرضى ويشكر، كما قال ﷺ: »انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله «أخرجه مسلم، وبالله التوفيق. (مع الشكر لمجلة الفرقان الكويتية)

***

آداب إسلامية

آداب صلاة الخوف

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، جاركند

ورد في صلاة الخوف أنواع وصور مختلفة وأشكال متنوعة ذكرها النووي فقال: "أحدها حديث ابن عمر أن النبي ﷺ صلى بإحدى الطائفتين ركعة والأخرى مواجهة للعدو، ثم انصرفوا فقاموا مقام أصحابهم وجاء أولئك فصلى بهم ركعة ثم سلم فقضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة، وبهذا الحديث أخذ الأوزاعي وأشهب المالكي وهو جائز عند الشافعي، ثم قيل إن الطائفتين قضوا ركعتهم الباقية معا وقيل متفرقين وهو الصحيح.

الثاني: حديث ابن أبي حشمة بنحوه إلا أن النبي ﷺ صلى بالطائفة الأولى ركعة وثبت قائما فأتموا لأنفسهم ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو، وجاء الآخرون فصلى بهم ركعة، ثم ثبت جالسا حتى أتموا ركعتهم ثم سلم بهم، وبهذا أخذ مالك والشافعي وأبو ثور وغيرهم، وذكر عنه أبو داود في سننه صفة أخرى أنه صفهم صفين فصلى بمن يليه ركعة ثم ثبت قائما حتى صلى الذين خلفه ركعة، ثم تقدموا وتأخر الذين كانوا قدامهم فصلى بهم ركعة ثم قعد حتى صلى الذين تخلفوا ركعة ثم سلم وفي رواية: سلم بهم جميعا... الحديث.

الثالث: حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم صفهم صفين خلفه والعدو بينهم وبين القبلة، وركع بالجميع وسجد معه الصف الذي يليه وقام المؤخر في نحر العدو، فلما قضى السجود سجد الصف المؤخر قاموا ثم تقدموا وتأخر المقدم، وذكر في الركعة الثانية نحوه، وحديث ابن عباس نحو حديث جابر، لكن ليس فيه: "تقدم الصف وتأخر الآخر" وبهذا الحديث قال الشافعي وابن أبي ليلى وأبو يوسف إذا كان العدو في جهة القبلة، ويجوز عند الشافعي تقدم الصف الثاني وتأخر الأول كما في رواية جابر، ويجوز بقاؤهما على حالهما كما هو ظاهر حديث ابن عباس.

الرابع: حديث جابر أن النبي ﷺ صلى بكل طائفة ركعتين، وفي سنن أبي داود وغيره من رواية أبي بكرة أنه صلى بكل طائفة ركعتين وسلم، فكانت الطائفة الثانية مفترضين خلف

متنفل، وبهذا قال الشافعي وحكوه عن الحسن البصري، وادعى الطحاوي أنه منسوخ ولا تقبل دعواه إذ لا دليل لنسخه، فهذه ستة أوجه في صلاة الخوف.

وروى ابن مسعود وأبو هريرة وجها سابعا أن النبي ﷺ صلى بطائفة ركعة، وانصرفوا ولم يسلموا ووقفوا بإزاء العدو، وجاء الآخرون فصلى بهم ركعة، ثم سلم، فقضى هؤلاء ركعتهم ثم سلموا وذهبوا فقاموا مقام أولئك ورجع أولئك فصلوا لأنفسهم ركعة ثم سلم، وبهذا أخذ أبو حنيفة، وقد روى أبو داود وغيره وجوها أخر في صلاة الخوف بحيث يبلغ مجموعها ستة عشر وجها، وذكر ابن القصار المالكي أن النبي ﷺ صلاها في عشرة مواطن، والمختار أن هذه الأوجه كلها جائزة بحسب مواطنها، وفيها تفصيل وتفريع مشهور في كتب الفقه، قال الخطابي: صلاة الخوف أنواع صلاها النبي ﷺ في أيام مختلفة وأشكال متباينة يتحرى في كلها ما هو أحوط للصلاة وأبلغ في الحراسة، فهي على اختلاف صورها متفقة المعنى، ثم مذهب العلماء كافة أن صلاة الخوف مشروعة اليوم كما كانت إلا أبا يوسف والمزني فقالا: لا تشرع بعد النبي صلى الله عليه وسلم لقول الله تعالى: وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة، واحتج الجمهور بأن الصحابة لم يزالوا على فعلها بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وليس المراد بالآية تخصيصه ﷺ وقد ثبت قوله ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلي". [1]

وقال العظيم آبادي: ثم اعلم أنه قال الحافظ ابن عبد البر في التمهيد: روي في صلاة الخوف عن النبي ﷺ وجوه كثيرة، فذكر منها ستة أوجه، الأول ما دل عليه حديث ابن عمر قال به من الأئمة الأوزاعي وأشهب. قال العيني وقال به أبو حنيفة وأصحابه. قال ابن عبد البر: الثاني حديث صالح بن خوات عن سهل بن أبي حشمة، قال به مالك والشافعي وأحمد وأبو ثور. الثالث حديث ابن مسعود قال به أبو حنيفة وأصحابه إلا أبا يوسف. الرابع حديث أبي عياش الزرقي قال به ابن أبي ليلى والثوري. الخامس حديث حذيفة قال به الثوري في مجيزه وهو المروي عن جماعة من الصحابة، منهم حذيفة وابن عباس وزيد بن ثابت وجابر بن عبد الله. السادس حديث أبي بكرة أنه صلى بكل طائفة ركعتين، وكان الحسن البصري يفتي به، وقد حكى المزني عن الشافعي أنه لو صلى في الخوف بطائفة ركعتين ثم سلم فصلى بالطائفة الأخرى ركعتين ثم سلم كان جائزا، قال وهكذا صلى النبي ﷺ ببطن نخل. قال ابن عبد البر

---

[1] شرح صحيح مسلم ٢٧٨/١.

وروي أن صلاته هكذا كانت يوم ذات الرقاع، وذكر أبو داود في سننه لصلاة الخوف ثمانية صور، وذكرها ابن حبان في صحيحه تسعة أنواع، وذكر القاضي عياض في الإكمال لصلاة الخوف ثلاثة عشر وجها، وذكر النووي أنها تبلغ ستة عشر وجها ولم يبين شيئا من ذلك. وقال الحافظ العراقي في شرح الترمذي: قد جمعت طرق الأحاديث الواردة في صلاة الخوف فبلغت سبعة عشر وجها، وبينها لكن يمكن التداخل في بعضها. وحكى ابن القصار المالكي أن النبي ﷺ صلاها عشر مرات، وقال ابن العربي صلاها أربعا وعشرين مرة، وبين القاضي عياض تلك المواطن وأطال الكلام فيه. كذا في عمدة القاري مختصرا. وفي التلخيص: رويت صلاة الخوف عن النبي ﷺ على أربعة عشر نوعا، ذكرها ابن حزم في جزء مفرد، وبعضها في صحيح مسلم، ومعظمها في سنن أبي داود. وذكر الحاكم منها ثمانية أنواع وابن حبان تسعة أنواع، وقال ليس بينها تضاد، ولكنه ﷺ صلى صلاة الخوف مرارا، والمرء مباح له أن يصلي ما شاء عند الخوف من هذه الأنواع وهي من الاختلاف المباح. ونقل ابن الجوزي عن أحمد أنه قال: ما أعلم في هذا الباب حديثا إلا صحيحا.. انتهى.[1]

وذكر الشاه ولي الله الدهلوي عدة أنواع وصور لصلاة الخوف في كتابه، فقال: "وقد صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف على أنحاء كثيرة، منها أن رتب القوم صفين فصلى بهم فلما سجد سجد معه صف سجدتين وحرس صف، فلما قاموا سجد من حرس ولحقوه وسجد معه في الثانية من حرس أولا وحرس الآخرون، فلما جلس سجد من حرس وتشهد بالصفين وسلم، والحالة التي تقتضي هذا النوع أن يكون العدو في جهة القبلة.

ومنها أن صلى مرتين كل مرة بفرقة، والحالة التي تقتضي هذا النوع أن يكون العدو في غيرها، وأن يكون توزيع الركعتين عليهم مشوشا لهم ويحيطوا بأجمعهم بكيفية الصلاة.

ومنها أن وقفت فرقة في وجهه وصلى بفرقة ركعة فلما قام للثانية فارقته وأتمت وذهبت وجاها لعدو، وجاء الواقفون فاقتدوا به فصلى بهم الثانية، فلما جلس للتشهد قاموا فأتموا ثانيتهم ولحقوه وسلم بهم، والحالة المقتضية لهذا النوع أن يكون العدو في غير القبلة ولا يكون توزيع الركعتين عليهم مشوشا لهم.

---

[1] عون المعبود شرح سنن أبي داود: ٤/١٢٨، ١٢٩.

ومنها أنه صلى بطائفة منهم وأقبلت طائفة على العدو فركع بهم ركعة، ثم انصرفوا بمكان الطائفة التي لم تصل، وجاء أولئك فركع بهم ركعة، ثم أتم هؤلاء وهؤلاء.

ومنها أن يصلي كل واحد كيفما أمكن راكبا وماشيا لقبلة أو غيرها، رواه ابن عمر رضي الله عنهما. والحالة المقتضية لهذا النوع أن يشتد الخوف أو يلتحم القتال، وبالجملة فكل نحو روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو جائز. ويفعل الإنسان ما هو أخف وأوفق بالمصلحة حالتئذ.[1]

تسقط الجماعة والجمعة عن الرجل إذا كان اليوم ذات مطر، أو كانت ليلة باردة لحديث نافع أن ابن عمر أذن بالصلاة في ليلة ذات برد وريح فقال: ألا صلوا في الرحال" ثم قال: كان رسول الله ﷺ يأمر المؤذن إذا كانت ليلة باردة ذات مطر يقول: "ألا صلوا في الرحال".[2]

وعن ابن عباس أنه قال لمؤذنه في يوم مطير إذا قلت: أشهد أن لا إله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله فلا تقل: حي على الصلاة، قل: صلوا في بيوتكم، قال: وكان الناس استنكر ذلك، فقال: أتعجبون من ذا قد فعل ذا من هو خير مني، إن الجمعة عزمة، وإني كرهت أن أخرجكم فتمشوا في الطين والدحض.[3]

***

[1] حجة الله البالغة ٢/٢٤، طبع الهند.
[2] رواه مسلم في الصحيح، باب الصلاة في الرحال في المطر.
[3] رواه مسلم في الصحيح، باب الصلاة في الرحال في المطر.

شهداء بغير قتال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فمما لا شك فيه أن الجهاد في سبيل الله تعالى والاستشهاد في سبيله من أفضل الأعمال وأعظم القربات، وأقرب الطرق الموصلة إلى رضوان الله والفوز بكرامته قال تعالى: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون}. (التوبة: ١١١)

وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون} (الصف: ١٠، ١١)

وسئل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: "إيمان بالله ورسوله" قيل: ثم ماذا؟ قال: "الجهاد في سبيل الله" (متفق عليه)

وبين النبي ﷺ فضل الشهادة في سبيله فقال: "ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة" وفي رواية: "لما يرى من فضل الشهادة" (متفق عليه)

وقال رسول الله ﷺ: "للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة [1]، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه" (رواه ابن ماجه والترمذي وصححه الألباني)

وقال رسول الله ﷺ: "ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى: اللون لون دم، والريح ريح مسك" (متفق عليه).

---

[1] الدفعة: هي الدفعة من الدم.

فهذا أخي الحبيب وأمثاله يبين فضل الاستشهاد في سبيل الله عز وجل، والأدلة في ذلك كثيرة ليس هذا موضع استقصائها.

ولكن ليس كل أحد يجب عليه القتال الذي هو سبب الاستشهاد، فالمرأة لا يجب عليها الجهاد، والطفل الصغير لا يجب عليه الجهاد، والشيخ الكبير لا يجب عليه الجهاد، والشاب الذي يرعى والديه وليس عندهما غيره قد يرخص له في ترك الجهاد.

وأيضا فإن هناك أوقاتا لا يتيسر فيه أمر الجهاد بسبب ضعف المسلمين، وعقد الهدنة مع الكفار وغير ذلك.

فلو كان ثواب الشهادة في سبيل الله مقتصرا على شهيد الحرب، لحرم من ذلك كثير من المسلمين، ولكان شهداء الأمة قليلين، ولذلك سأل النبي ﷺ أصحابه فقال لهم: "ما تعدون الشهداء فيكم؟" قالوا: يا رسول الله! من قتل في سبيل الله فهو شهيد. قال: "إن شهداء أمتي إذا لقليل".

قالوا: فمن يا رسول الله؟

قال: "من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات من البطن فهو شهيد، والغريق شهيد". (رواه مسلم)

فمن رحمة الله تعالى وعظيم فضله على هذه الأمة أن يسر لها أسبابا أخرى للشهادة، وفتح لها أبوابا متعددة لنيل ثواب الشهداء، حتى لا يكون هذا الفضل العميم مقتصرا على طائفة قليلة من الأمة، فكل من أطلق عليه اسم الشهيد فإن له ثواب الشهداء في الآخرة.

قال العلماء: "المراد بشهادة هؤلاء كلهم –غير المقتول في سبيل الله– أنهم يكون لهم في الآخرة ثواب الشهداء، أما في الدنيا فيغسلون ويصلى عليهم. وبيان هذا أن الشهداء ثلاثة أقسام:

١–شهيد في الدنيا والآخرة، وهو المقتول في حرب الكفار، فهذا لا يغسل ولا يكفن، وإنما يدفن بثيابه التي قتل فيها.

٢–شهيد في الآخرة دون أحكام الدنيا، وهم المذكورون في الحديث السابق، وغيرهم ممن سنتكلم عنهم في هذا البحث، وهؤلاء يغسلون ويكفنون ويصلى عليهم.

٣–شهيد في الدنيا دون الآخرة، وهو من غل من الغنيمة، أو قتل مدبرا. [1]

أما هؤلاء الذين لهم أجر الشهداء دون قتال ولا دماء فهم:

١–المبطون: وهو من قتله مرض بطنه، كالاستسقاء والكبد والقولون وغير ذلك.

٢ – المطعون: من أصابه الطاعون، واختلف كلام أهل العلم في تفسيره، ويشبه أن يكون وباء من الأوبئة التي تضرب بعض المناطق في بعض الأوقات فتقتل كثيرا من الناس.

فعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرها "أنه كان عذابا بعثه الله على من شاء، فجعله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد". (رواه البخاري)

قال الحافظ ابن حجر: ومفهوم الحديث أن من لم يتصف بالصفات المذكورة لا يكون شهيدا، ولو وقع به الطاعون ومات به، وذلك لشؤم الاعتراض الذي ينشأ عنه التضجر والتسخط لقدر الله وكراهة لقائه...

وهل يكون الطاعون رحمة وشهادة لمرتكب الكبيرة من هذه الأمة؟ فالجواب نعم، لعموم الأحاديث في ذلك، ولا شك أنه مؤمن إلا أنه كان مرتكبا لكبيرة، ولا يلزم المساواة بين الكامل والناقص في المنزلة، لأن درجات الشهادة متفاوتة، فيحصل له أيضا نوع من الشهادة".

٣–الغريق.

٤– صاحب الهدم : الذي يقع تحت الأنقاض فيموت، كالذين يموتون في الزلازل تحت المباني المنهارة، ومن وقع عليه حائط أو سقط في حفرة. قال النبي ﷺ: "الشهداء خمسة: المبطون، والمطعون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله. (متفق عليه)

٥–المرتث: من ضرب في المعركة أو غيرها ولكنه لم يمت في الحال، بل وجد بعض مرافق الحياة، فأكل أو شرب أو تداوى، أو نقل عن المعركة وهو يعقل، أو أوته خيمة، أو نام أو باع أو اشترى، أو تكلم بكلام كثير أو أوصى، لما روي أن عمر وعليا حملا إلى بيتهما بعد

[1] فقه السنة (٣/١٠٦، ١٠٧).

الطعن وكانا شهيدين [١]. ولعل هذا هو المقصود بقوله ﷺ: "....ومن مات في سبيل الله فهو شهيد" (رواه مسلم)، وسبيل الله يعم كل سبيل يسلكه في طاعة الله تعالى مع نية خالصة وعمل طاهر عن شوب الرياء والسمعة.

٦—المرأة تموت بجمع: وهي المرأة الحامل التي تموت بسبب حملها.

٧ — الذي يموت بسبب ذات الجنب: وهي قرحة قبيحة تثقب البطن، وقال ابن منظور: هي قرحة تصيب الإنسان داخل جنبه، وهي علة صعبة تأخذ في الجنب، تظهر في باطن الجنب وتنفجر إلى داخل وقلما يسلم صاحبها.

٨—صاحب الحريق: أي الذي يموت محترقا، يدل على ما سبق قوله ﷺ: "الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة" (رواه أحمد والترمذي والنسائي وصححه النووي).

قال ابن الأثير : "تموت بجمع" أي في بطنها ولد. وقيل: هي التي تموت بكرا. و "الجمع" بالضم بمعنى المجموع. والمعنى: أنها ماتت في شيئ مجموع فيها غير منفصل عنها من حمل أو بكارة". [٢]

٩ — المرأة تموت في نفاسها: لقوله ﷺ: ".... والنفساء شهيدة" (رواه النسائي وصححه الألباني)

١٠—الميت بسبب داء السل: لقول النبي ﷺ: "السل شهادة" (رواه أحمد والطبراني وصححه الألباني)

١١—من قتل دون ماله: أي بسبب المدافعة عن ماله.

١٢—من قتل دون أهله: أي بسبب المدافعة عن شرف زوجته أو أخته أو قريبته.

١٣—من قتل دون دينه: أي بسبب الدفاع عن الإسلام والذب عنه.

---

[١] العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة لصديق حسن خان ص (٢١٤).
[٢] أبواب السعادة في أبواب الشهادة للسيوطي ص (١٥).

١٤–من قتل دون دمه: أي بسبب الدفاع عن نفسه ممن يريد قتله. يدل على ما سبق قول النبي ﷺ: "من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد" (رواه أصحاب السنن وصححه الألباني)

١٥– من سقط عن دابته فمات: لقوله ﷺ: "من صُرع عن دابته فهو شهيد" (رواه أبو داود وصححه الألباني)

١٦–من خرج من منزله أو بلده طاعة لله.

١٧– من قتل مظلوما: لقوله ﷺ: "من قتل دون مظلمته فهو شهيد" (رواه النسائي، وصححه الألباني)

١٨–من وقصته فرسه أو بعيره: أي كسرت عنقه فمات.

١٩–الملدوغ: يدل على ما سبق قوله ﷺ: "من فصل [1] في سبيل الله فمات، أو قتل، أو وقصته فرسه أو بعيره، أو لدغته هامة [2]، أو مات على فراشه بأي حتف شاء الله، فإنه شهيد، وإن له الجنة" (رواه أبو داود، وحسنه الألباني)

٢٠–الذي يموت بسبب البحر: لقوله ﷺ: "المائد في البحر [3] الذي يصيبه القيء، له أجر شهيد، والغريق له أجر شهيدين". (رواه أبو داود، وصححه الألباني)

٢١– الذي يتمنى الشهادة بصدق: لقوله ﷺ: "من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه" (رواه مسلم).

وفي لفظ: "من سأل الله القتل في سبيل الله صادقا من قلبه، أعطاه الله أجر شهيد، وإن مات على فراشه" (رواه الترمذي، وصححه الألباني)

٢٢ – الموت في طلب العلم: لقول النبي ﷺ: "من خرج في طلب العلم، فهو كالمجاهد في سبيل الله حتى يرجع" (رواه الترمذي)

---

[1] فصل: خرج.

[2] هامة: حشرة من حشرات الأرض.

[3] المائد: الذي يدور رأسه من خوف البحر، ويحصل له الغثيان من تحرك السفينة، إن كان ركوبه في طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، كالغزو والحج وطلب العلم والتجارة لتحصيل قوت نفسه وأهله وعياله" (العبرة ص ٣٢).

٢٣–من مات غريبا: لما روي عن النبي ﷺ: "موت الغربة شهادة" (أخرجه ابن ماجه، وفيه ضعف وله شواهد)

أقسام موت الغربة

قال محمد بن الحسين الآجري: فإن قال قائل: فكل من مات غريبا يكون موته شهادة على ظاهر الخبر؟

قيل له: الغريب على وجهين:

- فغريب يموت طائعا لله عز وجل بغربته، وهم على أصناف شتى كلها محمودة، فهم الذين يرتجى أن يكون موت أحدهم شهادة.

- وغريب عاص لله تعالى بغربته، وهم على أصناف شتى كلها مذمومة، وفرض عليهم التوبة من الغربة والرجوع عما تغربوا له.[1]

فإن قال قائل: فصف لنا الغريب الطائع لله عز وجل بغربته حتى لا نتغرب إلا في طاعة الله.

قيل له: من تغرب في حج أو في عمرة أو جهاد، فمات في خروجه أو رجوعه فهو شهيد.

ومن خرج في طلب علم، يريد وجه الله الكريم بعلمه، ليعلم ما افترض الله عز وجل عليه، فيستعمله، ويعلم ما حرم الله تعالى عليه، فينتهي عنه، فمات، فهو شهيد.

ومن خرج زائرا لأخ في الله عز وجل، أو لزيارة رحم يبرهم بزيارته، فمات، فهو شهيد.

ومن كان ببلد، فظهرت فيه الفتن، فخشي على دينه وماله وأهله، ففر منه إلى بلد غيره، فمات، فهو شهيد.

ومن ضاق عليه الكسب الحلال في بلده، فخرج إلى بلد غيره ليكتسب الحلال، فمات، فهو شهيد.

ومن شرد له ولد، أو أبق له عبد أو أمة، فخرج في طلبهم، فمات، فهو شهيد.

وأما صفة من تغرب في معصية:

مثل أن يقطع الطريق على المسلمين.

---

[1] كالذين يسافرون إلى بلاد الكفر والإباحية لممارسة الأفعال الخبيثة.

أو أن يعين الخوارج.

أو خرج يسعى في الأرض للفساد.

أو اختدع ولدا لرجل، أو عبدا أو أمة، فهرب بهم، فتغرب.

أو خرج في تجارة محرمة، لا يبالي ما نقص من دينه، إذا سلمت له دنياه. فهؤلاء وما يشبه أمثالهم عصاة لله عز وجل بتغربهم، وفرض عليهم التوبة والرجوع عن قبيح ما خرجوا له، فإن ماتوا في غربتهم لم تحمد أحوالهم.

أخي الحبيب!

١–أخلص لله عز وجل في عملك كله، لأن الشهادة لا تقع لغير المخلصين.

٢–اتبع ولا تبتدع.

٣–احتسب ما يصيبك في الله عز وجل ولا تضجر أو تتسخط.

٤–اسأل الله الشهادة بصدق، فلعل الله تعالى يستجيب لك، ويبلغك منازل الشهداء.

٥–إياك أن تقاتل تحت راية عمية [1] طلبا للشهادة، فإن النبي ﷺ قال: "... من قاتل تحت راية عمية، يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتلة جاهلية" (رواه مسلم) والمعنى أنه يقاتل لشهوة نفسه وغضبه لها أو عصبية لقومه.

فاحذر أخي من الفتن، وابتعد عنها وعن مصادرها، ولا تعرض نفسك لشيء منها، لأن الفتن تجر إلى شرور كثيرة وفساد عريض، وعليك بالمحكم المتيقن الذي ظهر دليله ولاحت حجته، ودع عنك الظنون والتأويلات والأوهام، نسأل الله تعالى أن يبلغنا منازل الشهداء بمنه وكرمه. (إعداد: القسم العلمي بمدار الوطن للنشر، السعودية)

***

[1] راية عمية: عمياء لا يستبين وجهها.

إلى متى هذه الغفلة ؟

عبدالوكيل مسرور عبدالهادي
بنجلور

إن مما يحزن القلب ويوجعه أن الأمة الإسلامية اليوم تتقلب على فراش غفلتها يمينا وشمالا، وهي لاتدري ما يحوم حولها من أخطار عظيمة وآفات جسيمة تحدّق بها من كل جهة. إنها تعيش فتنا في دينها ودنياها، تمرّ في تاريخها عبر أيام عصيبة وبمنعطف خطير، وقد غشيتها سكرة الغفلة ونشوتها، وهي لاتعرف أن العدوّ بالمرصاد، يتربّص بها ويريد أن يميل عليها ميلة ويسطو بها سطوة.

ألم يأن للأمة أن تهب من نومها وقد تطاولت أيدي الأعداء على كتاب ربها الخالد -الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه- لتحريفه وتبديله؟ أما آن لها أن تصحو وقد حاول بعض الأعداء للنيل من كرامة رسولها الخاتم صلى الله عليه وسلم، وقد توالت الهجمات الشرسة والغارات الشعواء على سنة نبيها المطهرة وسيرتها المعطرة إضافة إلى محاولات للقدح في الصحابة رضي الله عنهم، كل هذا مع ترك الأمة الساحة لأعدائها لنشر دياناتهم الباطلة بكل قوّة وسرعة وإفساح المجال لهم وإتاحة الفرصة للحضارات اللا دينية أن تبثّ إباحيتها الفاجرة بين شعوب الأمة وتعدي بفيروساتها الفتّاكة إلى جسد الأمة السليم دون أي محاولة للسدفي وجهها والدفع لسيلها، بينما تقلّد فئة من الأمة للحضارة الغربية الملعونة تقليدا أعمى، وتجري وراء كل ناعق للغرب وهاتف بنعراته نابذة الغيرة الدينية والحمية الإسلامية وراء ظهورها، وكأنها تعلن بلسان حالها عن نقص في هذا الدين الحنيف وعدم كماله نظاما وتشريعا، وحضارة وثقافة ومنهجا وسلوكا رغم ماحبا الله هذه الأمة أكمل الأديان وأتمّها وأسمى الحضارات وأفضلها قال تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}.

ومما زاد الأمر علة والطين بلة أن النزراليسير من هذه الأمة يفخر بالتأسي بهذه الحضارةالممقوتة في جميع شؤون حياته مع ما أرسل الله إلى هذه الأمة أفضل رسولها مع أفضل الكتب وجعله خير قدوة تقتدي بها في جميع شؤون الحياة قال تعالىٰ: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة}.

إن هذه الفئة تفخر بالتأسي بحضارة غربية مسمومة ذات طابع يهودي تعمل وراءها أيد يهودية خبيثة. حضارة جرّعت البشرية مرارة الحنظل وغصص الزقّوم، وجعلتها في عذاب مستمرّ، واضطراب وقلق دائبين. إنها الحضارة التي سلبت حقوق البشرية، وشجّعت الظلم وأنواعه والحرام وأصنافه، مثل السفور والاختلاط والعلاقات المحرمة، وتعدّت حدود الله وتجاوزتها باسم الرقيّ والانفتاح تارة، وباسم الحريّة والتقدم تارة أخرىٰ. حضارة استهترت بمصالح الشريعة الإسلامية بحججها الباطلة، واستخفت بقوانينها وعبثت بنظمها الصالحة بأحاديثها الملفقة ذات الزيف البين. وأثارت الفتن هنا وهناك لإضعاف الدين الحنيف وجعلت طوفان الشرور والمنكرات يفور، وبحر المعاصي يموج بكل قوّة في سائر أرجاء المعمورة.

إن العين لتذرف بدموع حارّة على ماتفخر هذه الفئة بالتأسي بهذه الحضارة التي قامت على محاربة فطرة الله والتي لا تغني عن البشرية في صلاح معاشها بله في معادها. حضارة دمّرت جميع المثل الإنسانية النبيلة وقيمها الفاضلة. حضارة بثت روح الإباحية بين شعوب العالم، وبدّدت الأخلاق الكريمة وأفنتها. حضارة تعلّم أتباعها العداء للإسلام وأهله. حضارة تهتف بنعرات الحفاظ على حقوق الإنسانية ثم هي التي تستحل الظلم أوّلا بتأويلات فاسدة، ثم لاتستحيي، حضارة تشبه السراب الذي يخدع السالكين. وبإيجاز إنها حضارة محايدة بكل مقوّماتها وعناصرها عن حضارة الإسلام السامية.

وهنا تطرح نفس كل أبيّ غيور على دينه سؤالا: ألم تعلم هذه الفئة من الأمة التي تقتفي آثار هذه الحضارة المقيتة أن أصلها يرجع إلى اليهود الذين هم أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا،

وهم الذين كشف القرآن الكريم القناع عن حسدهم، ومايكنونه من الغل والبغضاء في ضمائرهم لأهل الإسلام، وأزاح الستار عن طباعهم الخبيثة ومؤامراتهم ودسائسهم، وفضح معايبهم وقبائحهم سيّما اجتراءهم على جريمة قتل الأنبياء الشنيعة مما لم يسبق إليه مثيل في التاريخ؟ {ذلک بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق} ...وهم الذين يتربّصون بالمسلمين الدوائر، يتأسون بقوم لا يألون المسلمين خبالا ويوقدون نار الحرب ويلهبون فتيلها. يسلكون سبيل قوم ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله .قال تعالیٰ:{ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودّوا ماعنتّم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر} يستنّون بسنة ملة جعل الله اللعنة عليهم آيات تتلیٰ في كتابه الخالد إلى يوم الدين في كل صلوٰة، يستقون من بحر اليهودية العاكر، المتعفنة رائحته، الآسن ماؤه، المرير مذاقه، والذي يمرض الجسد والفكر والروح والعقل. يستوردون من مصادر خبيثة لاتصدّر إلا البضائع التي تضرّ البشرية في دينها ودنياها. ينهلون من مستنقعات وبيئة تجتمع فيها كل أنواع النجاسة والدنس. يستفيدون من حضارة قوم سوّدوا صفحات التاريخ المشرقة بالذنوب والمعاصي.

فـإذا كان الأمـر كذلک فأي مأسـاة هذه؟ وهي مأساة مـوت القلوب لبعض أفراد الأمـة - نسأل الله السلامة - وأي انتكاس هذه؟ مع أن الأمة بحمد الله تتمتع بالحضارة الراقية التي تضمن السعادة الأبدية دنيا وأخرى، ولديها كل مقوّمات الاعتزاز والنظم الصالحة لبناء مستقبل أجمل وحياة أفضل فرديا وجماعيا.

والعجب في مثل هذه الأوضاع الراهنة أن الأمة مشتغلة بالتنازع فيما بينها، دون الانتباه لوحدة الأمة الإسلامية وتلاحمها فضلا عن انتباهها لمايحوم حولها من مخاطر من قبل أعدائها، سيما في صورة نصب الغرب حبائله في العالم كله ليصيد بها بعض السذّج من أفراد هذه الأمة.

إن هذا كله نتيجة الإعراض عن الوحيين (الكتاب والسنة) وترك العمل بتعاليمهما السامية. فمن الحلول الناجعة في مثل هذه الظروف القاسية أن ترجع الأمة إلى الكتاب والسنة، قال ﷺ: تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي. (رواه الحاكم في المستدرك، صحيح الجامع ص: ٢٩٣٧) وأن تقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل جدية وحيوية وبإخلاص مقرون بمتابعة النبي ﷺ. لتأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم. (الترمذي)

فالأمة بأمس الحاجة في هذا الحين أن تصحو من غفوتها، وتهبّ من سباتها وأن تحافظ على كيانها الاجتماعي والسياسي والثقافي والديني، وأن تكوّن بروحها الإيمانية سياجا آمنا أمام سائر مؤثرات الحضارات والثقافات الوافدة اللادينية، إضافة إلى ذلك عليها أن تثبت كالجبل الصامد إزاء جميع تحدّيات العصر وإغراءات الأعداء وتهديداتهم، وأن تسعىٰ لتغيير أحوالها. قال تعالىٰ: {إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم} ومع هذا كله الوقت يتطلب من الأمة أن تشمّر عن ساق الجد حتى تقضي على التخلف العلمي والعملي، وتطرد عنها شبح اليأس، وتخلع عنها لباس النكوص والتأخر والانهيار والتدهور، وأن تنقذ نفسها من جميع عوامل الانحطاط التي تهوي بها في دركات المهانة والذل، وتسقط بها في هوّة سحيقة من الانحلال والاضمحلال وأن تحافظ على وحدتها العقدية التي عليها قوام فلاحها ومعوّل سعادتها في معاشها ومعادها.

أسأل الله أن يجمع كلمة المسلمين على الحق والهدى، ويرزق الأمة الإسلامية الصحوة واليقظة والتبصر بالعواقب، ويوفقها لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين.

***

اللغة والأدب

الإعرابُ عن قضيّةِ الإعرابِ

قراءةٌ نقديةٌ موضوعيةٌ

وسيم المحمّدي/المدينة المنورة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنه لا يخفى على المعني باللغة العربية، والناظر في الجهود المصروفة في هذا السبيل ما للمحدثين فيها من نصيب، كما لا يخفى عليه ما عندهم من آراء واجتهادات يُصيبونَ في بعضٍ ويجانِبون الصواب في بعض ـــ إلا أنّ للمجتهد أجراً ـــ، ومن هؤلاء الدكتور إبراهيم أنيس، وهو معروف لا يُعرَّف في المجالات اللغوية؛ لما له من جهود وآراء يَستَقِلّ بها.

وهذا كتابه "من أسرار اللغة"، كتاب حافل بالآراء والأفكار والقضايا التي تستحق الأخذ والردّ، والمناقشة والبحث، ولا سيما قضية الإعراب التي سماها الدكتور بـ"قصة الإعراب".

وأحاول هنا أن أدرس هذه القضية وأناقش ما ورد عند الدكتور في كتابه المذكور تحت عنوان "قصة الإعراب" مركزا على أهم الأفكار التي أودعها فيه، وتتلخص في النقاط الآتية:

١. قاسوا ما لم يسمعوا على ما سمعوا.
٢. أسرفوا في قياسهم.
٣. الأصل في العربية تسكين أواخر الكلمة.
٤. المتكلّم كان حرّاً في اختيار الحركة المناسبة عند وصل الكلام حسب طبيعة الصوت أو انسجام الحركة مع ما يكتنفها من حركات أخرى.
٥. النحاة أخضعوا الشعر لأحكامهم بعد تحريفه.

والله ولي التوفيق

[قاسوا مالم يسمعوا على ما سمعوا، وأسرفوا في قياسهم]

القياس لغة: التقدير[١].

واصطلاحا له تعريفات عدة، منها: حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه"[٢].

وقيل: حمل فرع على أصل بعلة، وإجراء حكم الأصول على الفرع.

وقيل: هو إلحاق الفرع بالأصل بجامع.

وقيل: هو اعتبار الشيء بالشيء بجامع.

وهذه الحدود كلها متقاربة[٣].

وقد نشأ القياس في العربية مع نشأة النحو، وبدأ من الطور الأول، فقد جاء أن عبد الله بن إسحاق الحضرمي كان شديد التجريد للقياس، وكان الخليل الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله، وكان سيّد قومه، وكاشف قناع القياس في عمله؛ لذا يُعدّ القياس من الأسس المنهجية في دراسة النحو والتصريف، إلا أنها لم تظهر كتب خاصة بأصول النحو قبل ابن جنّي، فكتاب "الخصائص" أول محاولة لوضع كتاب في أصول النحو، فجاء زاخرا بالقواعد الأصولية، وذَكَرَ القياس، وبيّن فيه ما يُقاس عليه وما لا يجوز القياس عليه في باب الاطّراد والشذوذ، وهكذا تناول ابن الأنباري هذا المبحث في كتابه "لمع الأدلة في أصول النحو"، والسيوطي في كتابه "الاقتراح في أصول النحو"، ثم لم يأت أحد يذكر أصول النحو إلا ويذكر فيها القياس لما ينبني عليه استخراج القواعد النحوية والصرفية، ولابدّ منه في وضع القواعد والأصول.

وإذا نظرنا في الأمر وجدنا أن العلماء قد جعلوا حدوداً للقياس، فبيّن ابن جنّي في تقسيمه الرّباعي ما يقاس عليه وما لا يقاس عليه، وتناول أمره بشيء من التفصيل، وبيّن أنّه كما لا يقاس على الشاذّ تركا، لا يقاس على الشاذ نطقا، فقال: "إذا كان الشيء شاذّا في السماع مُطّرداً في القياس تحاميت ما تحامت العرب من ذلك، وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله"[٤]، وأشار إليه

---

[١] ينظر: القاموس المحيط (ق ي س)، ص٥٩٣.

[٢] الإغراب في جدل الإعراب ص٤٥.

[٣] ينظر: لمع الأدلة ص٩٣.

[٤] الخصائص ١/٩٩.

السيوطي أيضا، وأضاف أنّه قد يقاس على القليل لموافقته للقياس، ويمتنع على الكثير لمخالفته له، كما أنه يجوز القياس على ما استعمل للضرورة في الضرورة[١].

وإذا تأمّلنا في ضوابط القياس عند الكوفيين والبصريّين وجدنا أنّ البصريين اشترطوا في القياس أن تكون الشّواهد التي يستنبط منها جارية على ألسنة العرب الفُصحاء، وأن تكون كثيرة بحيث يمكن أن يستنبط منها قاعدة مطّردة[٢]، وبذلك أحكموا قواعد النحو، وضبطوها ضبطا دقيقا، بحيث أصبح واضحَ المعالِم بين الحدود والفصول، بينما نرى الكوفيّين منهم وإن اتّفقوا مع البصريين في القياس على الأكثر الأغلب إلاّ أنّهم خالفوهم في القياس على الشاذّ والنادر والقليل، فقد آثروا أن يأخذوا بكل ما جاء عن العرب، وأجازوا استعمال ما كانوا يستعملون، ولو كان مخالفا للقواعد العامة؛ بل إنّهم تسامحوا في وضع القواعد العامّة على الشاذّ والنادر[٣].

يقول السيوطي: "قال الأندلسي: الكوفيون لمّا سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مُخالف للأصول جعلوه أصلا، وبوّبوا عليه خلافا للبصريين، وبذلك نجد أنّ الكوفيين قد أسرفوا في القياس في بعض الأحيان، فاستخدموا القياس دون استناد إلى السماع، فمن ذلك مثلا قياسهم العطف بـ"لكن" في الإيجاب على العطف بـ"بل" في مثل "قام زيد بل عمرو"، فقد طبّقوا ذلك على "لكن"، وأجازوا "قام زيد لكن عمرو". ومن أيّ سماع عن العرب يبيح لهم هذا القياس؟"[٤].

ومع كلِّ هذا قال القاضي الجرجاني: "ولأهل الكوفة فيه ـ أي: في القياس ـ رُخَصٌ لا تكادُ توجدُ لغيرهم من النحويّين، كإجازتهم مد المقصور، وترك صرف الاسم المنصرف، ونحو ذلك؛ غير أنّهم لا يبلغون بها مرتبة الإهمال، ولا يعرِّضونه لتحكم الشعراء، ويجعلون هذا الباب من الضرورة، ويقتصرون به على الحاجة"[٥].

وهذا الكلام له قيمة خاصّة وأهميّة بالغة في قضيّتنا مع إبراهيم أنيس.

---

[١] ينظر: الاقتراح في أصول النحو ص١٥٧-١٥٩.

[٢] ينظر: نشأة النحو ص١١٠-١١١.

[٣] ينظر: نشأة النحو ص١٢٤-١٢٥.

[٤] الأشباه والنظائر ١/٧٨.

[٥] الوساطة بين المتنبي وخصومه ص٤٥٣.

هذا، ثم يأتي إبراهيم أنيس فيريد أن يُلغي باب القياس ويستخفّ به استخفافا بالغا، فيقول: "ولم يقتصر عمل أولئک الذين أسّسوا قواعد الإعراب على السماع والجمع واستنباط الأصول؛ بل قاسوا ما لم يسمعوا على ما سمعوا، وأسرفوا في قياسهم، وابتكروا في اللغة أصولا وقواعد؛ رغبة منهم في اطّراد الإعراب وانطباقه على كلّ أسلوب، أو انطباق كل أسلوب عليه، حتى تمت لهم تلک المجموعة الضخمة من أصول عربيّة دقيقة، ورثوها من بعدهم، وربّما لم تكن يدور في أذهانهم أنّ مَن جاؤوا بعدهم سيتعبّدون بها، ويُحلّونها مكان القداسة والعبادة"[١].

ويظهر من كلامه هذا ما يلي:

١. كان المفروض للنُّحاة أن يقفوا عند السماع والاستنباط في وضع القواعد.
٢. عدم الاعتداد بالقياس.
٣. أن العلماء أسرفوا في القياس.
٤. السخرية بأسلوب خاص عنده من القياس.

ولا شکّ - كما سبق - أن القياس أحدُ الأصول النحويّة التي ينبني عليها النحو، وله شأنه، ولو لم يكن لتعذّر وضع القواعد في أيّ علمٍ كان فضلا عن النحو العربي، وفي عدم الاعتداد مخالفة للجمهور لا تخفى.

قال الكسائي:

إنما النّحو قياس يُتّبع وبه في كل علم ينتفع.[٢]

وقال ابن الأنباري: "اعلم أن إنكار القياس في النحو لا يتحقق؛ لأن النحو كله قياس؛ ولهذا قيل في حده: "النحو علم بمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب"، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو، ولا يُعلم أحدٌ من العلماء أنكره؛ لثبوته بالدلالة القاطعة"[٣].

ولم يكن القياس مجالا للترفيه والتسلية يمر به من يشاء كما يشاء، فيقيس مَن يشاء، كيف يشاء؛ بل ضُبِطَت لها ضوابط، ووضعت لها أصول، التزم بها العلماء. وإن حصل في هذا الباب نوع

---

[١] من أسرار اللغة ص١٧٠.
[٢] ينظر هذا البيت مع أبيات أخرى للكسائي ضمن ترجمة الكسائي في إنباه الرواة ٢/٢٦٧، وبغية الوعاة ٢/١٦٤.
[٣] الاقتراح في علم أصول النحو ص١٥٣.

من الإسراف من الكوفيين، فلا يخفى علينا جهودُ البصريّين في الدّقّة والتحرّي والبحث، ولاشكّ في أن النحو المُعَوّل عليه أكثره بصري وبصري كوفي، وقليل منه كوفي محض، ثم لو حصل شيءٌ من الإسراف في القياس – وهي معدودة معلومة معلمة – في الكتب؛ هل يُلْغى القياس من رأسه، أو يبرر ذلك لعدم الاعتداد به!.

ثمّ نَجد إبراهيم أنيس يَمضي وهو يستغرب من هذه القواعد الضخمة التي استخلصت من القياس، ويتعجّب أنه كيف خضع لأولئك النحاة فصحاء العرب، وأنكر أن يَلْحَنَ فحل من فحول الشعراء، وذكر بعض الأمثلة ممّا خطأها النحاة من باب التّنَدُّر والاستخفاف، مع أنّ هذه الأمثلة منها خرجها النحاة، مثل قول الشاعر:

وبِتُّ كأنّي ساوَرَتْني ضئيلة ... مِن الرُّقش في أنيابِها السُّمُّ ناقِعُ

فقالوا:

١. "ناقع" بدل من "السمّ"، والبدل لا يشترط فيه الموافقة.
٢. "ناقع" خبر ثان، والخبر الأول "في أنيابها".
٣. أجاز ابن الطراوة نعت المعرفة بالنكرة بشرط أن يكون النعت خاصا بالمنعوت واستدلّ بهذا البيت.

ومنها ما اعترف فيها قائله بالخطأ، مثل قول الشاعر:

زعَمَ البوارِحُ أنَّ رِحْلَتَنا غدا ... وبذاك خبّرَنا الغُرابُ الأَسْودُ

حيث ضمَّ الرويّ بعدما كانت القصيدة مكسور الرّوي، حيث جاء مطلع القصيدة:

أمن آل ميّة رائح أو مغتدي ... عجلان ذا زاد وغير مزوّدِ

فأصلح البيت بعدما تنبّه للخطأ، فقال:

زعَمَ البوارِحُ أنَّ رِحْلَتَنا غدا ... وبذاك تنعابُ الغُرابِ الأسودِ

ومنها ما هو خطأ ما استطاع صاحبه أن يُؤَوِّل، فغضب على المخطئ، ولو وجد سبيلا لخرج منه، ومثله قول الفرزدق:

وعضُّ زمانٌ يا ابنَ مروانَ لم يدَعْ ... من النّاسِ إلا مُسْحَتاً أو مُجَلَّفُ

فلمّا خطّأه أحد النحاة، وقال: علامَ رفعتَ "مجلّفُ"؟ قال: على ما يسوؤُكَ!.

وهكذا نرى أن إبراهيم أنيس ساق بعض الأمثلة لتدعيم موقفه من أنّ القياس لا حقيقة له خاصة أن الفحول من الشعراء قد وقع منهم ما وقع من مخالفة هذا القياس!.

وإذا تأملنا كلامه في هذا الصدد وجدنا ما يلي:

١. يُدَعِّم موقفه بالقياس الواضح، وإذا لم يجز ذلك للأوائل الّذين أفنوا عُمرهم في هذا الميدان، كيف جاز ذلك للدكتور!.

٢. الاعتماد على الأمثلة الشاذّة لتدعيم الموقف، فوقع في محظورين:

أ. الوقوع فيما فرّ منه. ب. الوقوع في النادر الشاذّ في التبرير لموقفه.

وقد فُهِمَ من كلامه نفسه ومن كل ما أورد قيمة القياس واعتداد الشعراء له، ولو لم يكن ذلك لما خضع فصحاء العرب لأولئك النحاة!!.

ثم لو وجدت أشياء قليلة خارجة على القواعد لا ينبغي أن يلغى القياس من أساسه؛ لأن القواعد على الكثرة المكاثرة لا على الشذوذ، ولا تخلو في الغالب قاعدة من القواعد النظرية من الشاذّ، وقد قيل: لكل قاعدة استثناء.

ثم المتأمّل في هذا كلّه يجد أن إبراهيم أنيس جعل هذه المسألة مقدِّمة لِما يدخل فيه من إلغاء الحركة الإعرابية، وإلغاء ما تقرّر في ذهن الطالِب العربي من أن لها مدلولا، فيقرّر أنها كلّها جاءت من قياس لا يعتدّ به، وأصولٍ لا قيمة لها.

[الأصل في العربية تسكين أواخر الكلمة، وإنّ المتكَلِّمَ كان حرّاً في اختيار الحركة المناسبة عند وصل الكلام حسب طبيعة الصّوت أو انسجام الحركة مع ما يكتنفها من حركات أخرى.]

الإعراب في اللغة: الإفصاح، يقال: أعرب الصبي: إذا أفصح[1].

وهو في الاصطلاح النحويّ: أثر ظاهر أو مقدّر يجلبه العامل في آخر الكلمة[2].

قال ابن فارس: "فأما الإعراب فبه تميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين؛ وذلك أن قائلا لو قال: "ما أحسن زيد" بلا إعراب؛ لم يوقف على مراده. فإذا قال: "ما أحسنَ زيداً!، أو "ما

[1] لسان العرب (ع ر ب)، ٩/١١٤.
[2] أوضح المسالك ص ٢٢.

أحسنَ زيدٌ، أو ما أحسنُ زيدٍ؟ أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده. وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها، فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني "[١].

وقال ابن الأنباري: "سُمِّيَ الإعراب إعرابا؛ لأنه يُبَيِّنُ المعاني ويكشف عنها، ولولاه لكان الكلام مُبهَما غير مفهوم ولا معلوم"[٢].

وقد جاء في كلام ابنة أبي الأسود الدؤلي معه[٣] ما يدل على أهميته، فقد قالت: (ما أحسنُ السماءِ؟) بالاستفهام، وكانت تقصد التعجب: (ما أحسنَ السماءَ!)، وكلّ ذلك يختلف عن (ما أحسنَ السماءُ) بالنفي.

ولا يخفى على أدنى طالب للغة العربية والواقف على خصائصها وأسرارها ما للإعراب من شأن وقيمة، وقد عُدَّ الإعراب ميزة من الميزات التي تميّزت بها اللغة العربية، وقد حافظت عليها من بين أخواتها السامية، كما عُدّ الإعراب والحركة جزءا من بنية الكلمة، فمن لم يعرب لم يفصح. بل ذهب بعض العلماء إلى أن من لم يعرب في الخطّ - أي لم يضبط بالشكل - فكأنّه نقص من بنية الكلمة نفسها، وما ذلك كله إلا لِما للإعراب من شأن وقيمة في اللغة العربية.

يقول الزجاجي في هذا الصّدد: "إنّ الأسماء لما كانت تَعْتَوِرُها المعاني فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة إليها، لم تكن في صورها وأبنيتها أدلّة على هذه المعاني، بل كانت مشتركة؛ جُعِلَت حركات الإعراب فيها تُنْبِئُ عن هذه المعاني، فقالوا: (ضرب زيدٌ عمراً)، فدلّوا برفع (زيد) بأن الفعل له، وبنصب (عمرو) على أنّ الفعل واقع به، وقالوا: (ضُرِبَ زيدٌ)، فدلّوا بتغيير أول الفعل ورفع (زيد) على أن الفعل ما لم يُسَمَّ فاعله، وأنّ المفعولَ قد نابَ منابه، وقالوا: (هذا غلامُ زيدٍ)، فدلّوا بخفض (زيد) على إضافة الغلام إليه"[٤].

وقد ذهب إبراهيم أنيس إلى "أن تحريك أواخر الكلمات كان صفة من صفات الوصل في الكلام شعرا أو نثرا، فإذا وقف المتكلّم أو اخْتَتَمَ جُملته لم يَحْتَج إلى تلك الحركات؛ بل يقف على

---

[١] الصاحبي في فقه اللغة ص١٩٠.
[٢] لمع الأدلة ص١٠٩.
[٣] ينظر: أخبار النحويين البصريين ص١٤.
[٤] الإيضاح في علل النحو ص٦٩.

آخر كلمة من قوله بما يُسمّى السكون، كما يظهر أن الأصل في الكلمات أن تنتهي بهذا السكون، وأنّ المتكلّم لا يلجأ إلى تحريكٍ إلاّ لضرورة صوتية يتطلّبها الوصلُ "[١].

ويقول: "الأصل إذاً في جميع كلمات اللغة ألاّ تُحرّك أواخرُها إلا حين تدعو الحاجة إلى هذا، أو بعبارة أخرى حين يدعو النظام المقطعي وتواليه إلى هذا التحريك"[٢].

وذهب إلى أن المتكلّم كان حُرّاً في اختيار الحركة المناسبة عند وَصْلِ الكلام حسب طبيعة الصّوت أو انسجام الحركة مع ما يكتنفها من حركات أخرى، فقال: "...كما رجَّحْنا أن الّذي يُعَيّن الحركة هو أحد العاملين: طبيعة الصوت أو انسجام الحركة مع ما يكتنفها من حركات أخرى"[٣].

وقد استأنس إبراهيم أنيس في ذلك بقول قطرب[٤] إذ قال: "إنّما أعربت العرب كلامَها؛ لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون، فجعلوه في الوصل محرّكا حتّى لا يُبْطِؤوا في الإدراج، وعاقبوا بين الحركة والسكون، وجعلوا الكل واحد أليَق الأحوال به، ولم يلتزموا حركة واحدة؛ لأنّهم أرادوا الاتّساع فلم يُضَيِّقوا على أنفسهم وعلى المتكلِّم بحظر الكلمات إلا حركة واحدة"[٥].

ولا يخفى على الطالب للغة العربية والمشتغل بها ما فيه من التجاوز والشّذوذ، وما في أغواره من محاذير ونتائج غير مرضية!!.

(يتبع)

***

[١] من أسرار اللغة ص ١٨٨.
[٢] من أسرار اللغة ص ٢١٥.
[٣] من أسرار اللغة ص ٢٢٠.
[٤] ينظر لرأي قطرب: مسائل خلافية في النحو ص ٩٥.
[٥] من أسرار اللغة ص ١٨٨.

أعلام الأدب

العلامة محمد بن يوسف السورتي

محمد عمير سفيان الإصلاحي
الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي

غير خاف على الباحثين والمحققين ما لعلماء الهند من خدمات جليلة في احتفاظ اللغة العربية وآدابها أيام ضعفت شوكة أهلها ونضبت منابع علمها وما لهم من أيادي بيضاء في صيانة ذلك التراث الإسلامي العربي الذي قد كاد أن تعبث به يد البلي أو تعصف به عواصف الدهر.

فقد عاش في مختلف عصور التاريخ عدد كبير من علماء الهند الذين قاموا بدورهم الفعال في تطوير اللغة العربية في الهند وإثراءها بمؤلفاتهم وتعليقاتهم القيمة على مصادر اللغة والأدب وخلفوا تراثا علميا ضخما لا يعد ولا يحصى. فلم يتركوا مجالا من العلم إلا أجالوا فيه القداح، ولا مفازة من الأدب إلا شمروا القطعها، فبرزوا في مجال الشعر والنثر والأدب واللغة والنحو والصرف والبلاغة والعروض والفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام والرجال والأنساب الخ.

لم يخل أي عصر من عصور التاريخ منذ أن سطع نور الإسلام في الهند من أمثال هؤلاء العلماء إلى عصرنا هذا، ومن يريد الاطلاع على ذلك فله أن يرجع إلى تراجم هذه العلماء في نزهة الخواطر للعلامة عبد الحي الحسني.

كان من أعيان القرن الرابع عشر الهجري شخصية أبي عبد الله محمد بن يوسف السورتي الذي كان مثالا فذا بين نظرائه في اللغة والأدب والحديث وعلم الرجال والأنساب وفي كثرة الحفظ وسعة المعلومات، حتى قال بعض معاصريه من كبار علماء الهند إنه كان يشبه في كثرة حفظه بعلماء القرون الأولى. ولكنه لسوء الحظ لم يستطع أن يظفر في الهند فضلا عن العالم العربي بالمكانة التي تليق به وبالشهرة والحفاوة التي حظيها من كان دونه في العلم وأقل بضاعة وأخمل ذكرا في الأدب. كان السبب في خموله مزاجه وعدم استقراره في مكان وعدم الانقطاع إلى التصنيف والتأليف. فأعماله مبعثرة إما في المكتبات المختلفة أو في بطون المجلات، لذلك أود أن أسلط الضوء على حياة هذا العالم الجليل ومآثره العلمية، ليقدر

العالم جهوده الأدبية واللغوية، ويتيسر للباحث سبيله في معرفة أعماله وجمع مخطوطاته، والله هو الهادي إلى سواء السبيل:

حياته

هو الشيخ الفاضل أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن علي اللونتي السامرودي. ولد في شهر شعبان سنة ١٣٠٧هـ بسامرود [١] إحدى قرى مديرية سورت في ولاية غوجرات الهندية، ونشأ بها. يقال له السامرودي أيضا نسبة إلى قريته. كان يقول العلامة السورتي إني ولدت في العام الذي توفي فيه النواب صديق حسن خان لذلك أذكر تاريخ ولادتي.

تلقى دروسه الأولى في قريته، فختم القرآن وهو ابن سبع سنين ثم تعلم اللغة الفارسية والعربية، ثم أقام في سورت عاما كاملا للدراسة. ثم سافر إلى بمبئ، وقرأ المختصرات على الشيخ محمد بن عبد الله الجوناكرهي والمولوي محمد جعفر البمبوي، ثم حداه الشوق إلى دلهي سنة ١٣٢٠هـ [٢] للدراسات العليا وكانت دلهي يومئذ مركز العلوم الدينية والعربية "فقطع معظم الطريق مترجلا ولم يكن له زاد" [٣] فقرأ الحديث والفقه على السيد عبد السلام الدهلوي حفيد السيد محمد نذير حسين [٤] وقرأ بعض الكتب على المولوي عبد الوهاب الملتاني والمولوي شرف الدين، ثم قرأ الأدب والعروض والقافية واللغة على المولوي يوسف حسين الخانبوري [٥] ثم سافر إلى حيدرآباد سنة ست وعشرين وثلاث مائة وألف للهجرة [٦] "ولازم الشيخ محمد طيب بن محمد صالح الكاتب المكي وصحبه حينما سافر الشيخ إلى رامفور، ولما تولى الشيخ منصب الأديب الأول في ندوة العلماء بلكنؤ سافر معه

---

[١] العلامة عبد الحي الحسني، نزهة الخواطر، الجزء الثامن، الطبعة الأولى دائرة المعارف ١٩٧٠، ٤٠٤.

[٢] في نزهة الخواطر انه سافر إلى دلهي سنة ١٣٢١هـ ولكن اعتمدت على ما ذكر ابنه في مقالته على والده، عربي أدب كي تاريخ (ترجمة تاريخ الأدب العربي أحمد حسن زيات) محمد عبد الرحمن طاهر السورتي.

[٣] مظفر حسين برني، مكاتيب اقبال، اردو اكيدمي نيو دلهي، الجزء الثالث، ص ٩٦٠.

[٤] أجمل فاروق الندوي، محمد بن يوسف السورتي عالم فذ.. بحث قدم في ندوة رابطة الأدب الإسلامي ٢٠١٠.

[٥] نزهة الخواطر ٨/٤٠٤.

[٦] ذكر العلامة عبد الحي الحسني أن العلامة السورتي سافر إلى حيدرآباد سنة سبع وعشرين ولكني اعتمدت على ما ذكر ابنه عبد الرحمن طاهر السورتي في مقالته.

تلميذه. وصحبه خمس سنوات درس خلالها المنطق والفلسفة والأدب وأصول الفقه وشيئا من علم الكلام والتفسير والصحيح البخاري كاملا.

ثم عاد الشيخ طيب المكي إلى رامفور فعاد معه العلامة السورتي. ثم خرج لزيارة علماء الهند المبرزين واستفاد منهم.

تزوج في المحرم سنة ١٣٣٥هـ في أسرة كريمة من تونک الشهيرة، وكان يتردد إليها كثيرا في بحث المخطوطات والتراث القديم.

حفظ القرآن بعد زواجه في ثلاثة أشهر مع أشغاله الأخرى. (٧)

توفي رحمه الله يوم الجمعة في ثلاثة وشرين من شعبان سنة إحدى وستين وثلاث مائة وألف من النجرة بعليكره ودفن بها. (٨)

كتب العلامة السيد سليمان الندوي على وفاته في مجلة معارف عدد سبتمبر ١٩٤٢م:

من أفجع ما حدث في الشهر الماضي هو وفاة العلامة محمد بن يوسف السورتي. لا أعرف في هذا العصر من يدانيه في سعة علمه ومطالعته وكثرة حفظه. فإنه كان إماما في علم النحو والصرف واللغة والأدب والأخبار والأنساب وعلم الرجال. (٩)

مكانته العلمية

كان العلامة محمد بن يوسف السورتي من أبرز أعلام عصره في العلوم العربية والدينية ولاسيما في اللغة والشعر والتاريخ والتفسير والحديث. وقد اعترف بعبقريته وعلو كعبه في الآداب العربية كبار علماء عصره وأثنوا عليه في حياته. فيقول العلامة عبد الحي الحسني في نزهة الخواطر:

"وهو أحد العلماء المبرزين في النحو واللغة وسائر الفنون الأدبية".

زاد فيه العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي قائلا:

وكان نادرة عصره في قوة الحفظ وكثرة المحفوظات وسعة المطالعة والتضلع من العلوم الأدبية ومقالات القدماء. كان له باع طويل وقدم راسخة في الصرف والنحو واللغة

---

(٧) عبد الرحمن طاهر السورتي، محمد سورتي: عربي أدب كي تاريخ، ص: ٢٧٠.

(٨) فيه أيضا خلاف بين ما ذكر العلامة عبد الحي الحسني وعبد الرحمن طاهر السورتي من تاريخ وفاته فقد ذكر صاحب نزهة الخواطر: مات في الخامس عشر من رجب سنة إحدى وستين وثلاث مائة وألف.

(٩) السيد سليمان الندوي، يادرفتگان.... دار المصنفين أعظم كره، ص: ٢٣٢.

والأدب والأخبار والأنساب والرجال، قلما يدانيه أحد في ذلك، وكان صاحب إتقان وتحقيق في المسائل النحوية واللغوية، يحفظ الآلاف من الأبيات، ويروي الشيء الكثير من الشعر والأدب والمتون والنصوص. (١٠)

ويقول السيد سليمان الندوي في كتابه "ياد رفتگان"

كان رحمه الله قد بلغ في علم الأدب والرجال والأنساب إلى مكانة لا يوجد لها نظير في هذا العصر. لا يرى كتابا إلا أنه يحفظه عن ظهر قلبه وقد حفظ مئات من القصائد النادرة وآلافا من أشعار العرب وأنسابهم. من رآه آمن بما روي من الأمثال النادرة لسعة حفظ العلماء والأدباء والمحدثين وصدق بها. (١١)

يقول الأستاذ مقتدى حسن الأزهري يشير إلى حدة ذكاءه وقوة حفظه:

"وحقا كان آية في قوة الذاكرة وسعة الإطلاع وتوقد الخاطر وسرعة الفهم وصفاء القريحة وكثرة الحفظ، فقد عرف عنه أنه كان يحفظ آلاف الأبيات والقصائد لأعلام الشعراء، وكثيرا من النصوص الأدبية والخطب والرسائل العلمية.

ومن علو همته وقوة حفظه أنه حفظ القرآن الكريم بعد الانتهاء من مرحلة التحصيل في ثلاثة شهور فقط، وكان يحفظ الكتب بمجرد قراءته مرة واحدة، وكان حريصا على القراءة والمطالعة والاستزادة من العلم، وقد ذكر عنه مترجموه أنه كان يطالع الكتب في الليل في ضوء مصابيح الطرق، وهذه الناحية من حياته تستحق العناية. (١٢)

كان رحمه الله مترجما قديرا وأديبا بارعا يتضلع من دقائق اللغتين الأردية والعربية لذلك أمر إقبال الشاعر الكبير من القرن العشرين السيد نذير نيازي في رسالته بأن يتعلم من العلامة السورتي الأشياء المهمة من فن الترجمة قبل ترجمة محاضراته.

يكتب إقبال في رسالته في ١٤ من شهر أغسطس ١٩٣٠م إلى السيد نيازي:

عليكم أن تستعينوا بالعلامة السورتي فهو يفيدكم بالأشياء المهمة في الترجمة وخاصة في ترجمة المصطلحات. (١٣)

---

(١٠) نزهة الخواطر: ٨/٤٤.

(١١) ياد رفتگان: ٢٣٢.

(١٢) أزهار العرب، صححه محمد أبو القاسم أبو الخير السلفي، إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، بنارس، ٢٠٠٦، ص: ٣.

(١٣) مظفر حسين برني، مكاتيب اقبال: ٣/١٥٨.

ومما يدل على قدرته على اللغتين العربية والأردية رغبة أبي الكلام آزاد في ترجمته لحجة الله البالغة إلى الأردية. فمن يعرف حجة الله البالغة لا يخفى عليه دقائق مباحثه وصعوبة ترجمته إلى الأردية. [١٤]

كان العلامة عبد العزيز الميمني والشيخ محمد بن يوسف السورتي معاصرين ومن أبناء ولاية غجرات، وقد تلمذا على الشيخ محمد طيب المكي ولكن كانت بينهما منافسات علمية فينتقد أحدهما الآخر، وتنشر تعقيباتهما في المجلات والصحف.

منها انتقاد الشيخ محمد بن يوسف السورتي على سمط اللآلي الذي حققها الأستاذ الميمني ونشر انتقاده في مجلة معارف الصادرة من دار المصنفين ورد عليه الميمني في مجلة برهان الصادرة من ندوة المصنفين.

ولكن رغم هذه الخصومة العلمية كان يعترف الأستاذ الميمني بمكانته العلمية، ويدل عليه ما ذكره تلميذه البروفيسور مختار الدين أحمد أن الأستاذ الميمني ذهب به مرة إلى ضريح الشيخ محمد بن يوسف السورتي ثم أشار إليه وقال: هذا جبل العلم. [١٥]

يقول إسحاق بهتي في كتابه قافلۂ حديث: [١٦]

كان العلامة محمد بن يوسف السورتي إماما ومجتهدا في الحديث والفقه والنحو والصرف والرجال والأنساب. حدثني المولانا حنيف الندوي أنه نشب الخلاف مرة بين العلامة ثناء الله الأمرتسري والحافظ عبد الله الروبري في قضية علمية فحكما بينهما العلامة السورتي لتسوية النزاع، فأخذوا بأطراف الحديث وبينوا جزئيات القضية، وأوضح الحافظ عبد الله موقفه، واستدل ببعض المتقدمين من علماء اللغة والأدب، فبدأ العلامة السورتي يرد وينتقد عليهم ويكشف المواضع التي أخطأوا فيها، وبين الدقائق اللغوية والأدبية اللطيفة حتى لم يستطع أحد أن يتكلم بين أمامه، فإنه كان واسع المطالعة بعيد الغور فيما يتصدى له، وقد حفظ كثيرا من الكتب الضخمة.

---

[١٤] محمد بن يوسف السورتي عالم عبقري: ٣.

[١٥] أيضا: ٣.

[١٦] اسحاق بهتي: قافلۂ حديث: ٣١٩، الكتاب انترنيشنل بتله هاؤس نيو دلهي.

سيرته وأخلاقه

كان رحمه الله رجلا متواضعا، غني النفس، سخيا، قليل التكلف، يؤاسي الأصدقاء، له جسم ممتلئ وهامة كبيرة وكان ضخم القوائم، شغوفا بالقراءة، عاشقا بالكتب العلمية، عكوفا على مطالعتها معظم أوقاته، وكان يقرأ الكتب الضخمة في وقت قليل لا يكاد ينتهي عن كتاب حتى يبدأ في آخر. وكان له غرام بجمع الكتب النادرة ينسخها ويبيعها. كلما عرف عن كتاب أنه قد طبع اشتراه. وقد أمر أبناء غلام رسول بأن يرسلوا إليه على الفور كل كتاب جديد، بسبب هذه الهواية كانت تجتمع عنده الكتب حيث يسير.

"كانت له في تونک مكتبة قيمة مليئة بنوادر الكتب، ولو أنها قد انتقلت منها بعد وفاته، ولكنها كانت من أغنى مكتبات تونک، وكانت فيها كتب كثيرة من مختلف العلوم والفنون.

كان جيد الخط سريع الكتابة، ينسخ بنفسه كتبا هائلة حتى أنه نسخ كتابا ضخما في مرضه الأخير."[١٧]

كان رحمه الله سلفي المذهب، شديد التمسک به، وكان شعاره الحب لله والبغض لله، فلا يتردد في إبراز الحق وإبطال الباطل.

كما قال الأستاذ الدكتور مقتدى حسن الأزهري:

"بعد ذلک كله كان يمتاز بالناحية العملية، فقد ذكر تلاميذه ومترجموه أنه كان شديد التمسک بالأسوة النبوية الحسنة والسنة الشريفة الصحيحة. ولم يكن يسكت على أمر يخالف الحديث الصحيح، بل يسرع في الرد والإرشاد إلى ما هو المشروع من الأعمال. وكان يستخدم أحيانا القوة في محاربة المنكر والقضاء على البدع وعادات الشرک".[١٨]

لذلک قال العلامة خليل بن محمد عرب في رثائه:

ياجاهرا بالحق غير مروع ماخفت غير الله في الجهاد[١٩]

يقول أبو الحسن علي الحسني الندوي:

---

[١٧] صاحب زاده شوكت علي خان، مكتبات قصر العلم تونک: ٢١٢.

[١٨] محمد بن يوسف السورتي: أزهار العرب، ص: ٤.

[١٩] عبد الرحمن طاهر السورتي، محمد سورتي: ٦٧١.

وكان عصبي المزاج تعتريه حدة، و يثور في كثير من الأحيان، وقد أدركته صناعة الأدب، وعاش ككثير من أصحاب النبوغ والتفوق متنقلا من بلد إلى بلد لم ينتفع الناس بعلمه كما كان ينبغي لفضل ذكائه وكثرة اعتداده بنفسه. [٢٠]

خدماته التعليمية

كان الشيخ محمد بن يوسف السورتي أول أستاذ اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية، وجاء به الحكيم أجمل خان الذي كان أحد مؤسسي الجامعة الملية الإسلامية وزميلا له في الدرس، فإنه أسست الجامعة الملية الإسلامية ألح عليه أن يدرس طلابها الأدب العربي، فدرسهم تسع سنين، ولما انتقلت الجامعة من عليكره إلى دلهي فاستقال عنها لأسباب. [٢١]

وأقام رحمه الله في مدينة بنارس نحو سنة يدرس في الجامعة الرحمانية، و بجانب هذا التدريس كانت له مجالس مع العلماء والزملاء والتلاميذ، وكان الشيخ يشرح في هذه المجالس المسائل العلمية والأدبية، ويفيد الحضور بما تقرر عنده في هذه المسائل، وكذلك يحكي عن بعض المسائل المهمة في حياته. وقد قام بالتدريس في جامعة أعظم بدلهي أيضا. [٢٢]

وقد درس الأدب والحديث في المدرسة الرحمانية لعدة شهور ثم انتقل إلى بمبئ وقام بتأسيس دار الحديث لتدريس القرآن والأدب والحديث، ثم تحول في آخر عمره إلى عليكره، وقضى فيها أيام مرضه الأخير حيث كان يدرس القرآن والأدب والحديث في بيته لجماعة من الأساتذة.

ومما يدل على نجاحه في التدريس أنه خرج من التلاميذ عددا من الذين حققوا النجاح في مختلف المجالات، وبرعوا في العلم والكتابة واستحقوا من الناس الإعجاب والتقدير.

---

[٢٠] نزهة الخواطر: ٨/٤٠٥.

[٢١] مكاتيب اقبال: ٣/٩٦٠.

[٢٢] مقدمة أزهار العرب: ٤.

بعض تلاميذه

ومن أشهر تلاميذه الدكتور ذاكر حسين الرئيس الأسبق لجمهورية الهند والبروفيسور محمد سرور والدكتور عبد العليم الأحراري، وملك حسن علي جامعي، وعبد الرحمن طاهر سورتي. والبروفيسور مولانا عبد الصمد، والبروفيسور مختار الدين أحمد.

طريقته في التدريس

طريقته في التدريس كانت تختلف عن الآخرين " فقد كان يرى لتدريس اللغة أن تدرس النصوص في بداية الأمر، ثم يتدرج المعلم إلى تعليم القواعد حتى لا يمل الطالب ولا يستصعب اللغة.

أما تعليم القواعد في أول عهد الطالب باللغة فإنه قد يصرفه عن الدراسة وينفره عن التحصيل. والطريقة الأفضل لتعلم اللغة العربية عنده أن يعتني الطالب بقراءة القرآن الكريم والحديث الشريف يفهم نصوصهما ويحفظ ألفاظهما ويلم بمحاسن البيان والتعبير في عباراتهما، مع بذل الجهد في الإحاطة بالقواعد من الصرف والنحو.

إن الشيخ السورتي كان يكتفي في مجال الاستشهاد والاستناد بالأدب العربي إلى العصر الأموي فقط، أما أدب العصور التالية فكان يقدره ويعجب ببعض أعلامه، ولكنه لا يرى الاستشهاد به، ولم يكن يشير بترسم خطى الأدباء من هذه العصور. ومن هنا لا يشجع تدريس مقامات بديع الزمان الهمذاني وما يماثلها من النماذج الأدبية. [٢٣]

مصنفاته وتحقيقاته ومقالاته

لقد ذكرنا آنفا أن العلامة السورتي لم يتفرغ للتأليف والتصنيف، فإنه كان عصبي المزاج، لا يقيم في مكان مدة طويلة. فنراه متنقلا من بلد إلى بلد، ومن مركز علمي إلى آخر، فأقام بالجامعة الملية الإسلامية ثمان أو تسع سنوات ثم لم يزل يتردد إلى المدن المختلفة وخاصة إلى دلهي وبمبئ وحيدرآباد وبنارس وعليكره.

وقد كانت أيام إقامته في حيدرآباد نحو سنة في عهد حاكمها مير عثمان على خان آخر حكام الدولة الآصفية من أحسن أيامه. "فقد اشتغل في هذه المدة بتصحيح كتاب الجمهرة في اللغة لابن دريد وفهرسه وقدم له، وقد تم طبع هذا الكتاب في دائرة المعارف في ثلاث

---

[٢٣] أيضا: ٤–٥.

مجلدات وذكر الشيخ عبدالوحيد أن الشيخ السورتي وضع لهذه الطبعة مقدمة عن المؤلف وكتابه الجمهرة وفهارسه، ولكن المؤسف أن إقامة الشيخ في حيدرآباد لم تطل، لأن زملاء الشيخ السورتي بدؤوا يحسدونه ويحيكون المؤامرة ضده، لتفوقه عليهم في العلم وتمسكه بالكتاب والسنة على منهج السلف الصالح دون تقليد إمام معين من الأئمة، فلما علم الشيخ بهذا النشاط المعادي له قدم استقالته وغادر حيدرآباد، وقد ذكر الشيخ أنه لم يستلم رواتبه في هذه المدة بل احتال عليها خصومه حتى أكلوها."[٢٤]

(١) جمهرة اللغة لابن دريد (مطبوع) قام رحمه الله بقراءة مخطوطة جمهرة اللغة وتصحيحها حينما أراد القائمون على دائرة المعارف بحيدرآباد طبع هذا الكتاب، واستصعب قراءة المخطوطة العلماء المشتغلون في الدائرة، وقد نوه المستشرق سالم كرنكو بهذا العمل العظيم، وأثنى كثيرا على الشيخ وعلى عظم مكانه في اللغة والأدب.[٢٥]

(٢) كتاب الأفعال لابن القطاع (مطبوع)

(٣) كتاب الكفاية للخطيب البغدادي (مطبوع)

(٤) ديوان نعمان بن بشير (مطبوع)

(٥) مقدمة في الصرف

(٦) مقرب في النحو

(٧) أزهار العرب (مطبوع)

من أشهر مؤلفاته "أزهار العرب" وهي مجموعة الأشعار التي انتقاها من غرر أشعار العرب حسب اقتراح الجامعة الملية الإسلامية، وعندما أسست مكتبة الجامعة الملية طبع هذا الكتاب مع كتاب الأستاذ أسلم الجيراجفوري في عام ١٩٢٤م وقد نالت قبولا كبيرا بين الأساتذة حتى أدخلوها في المقررات الدراسية. ولا تزال تدرس في بعض المدارس.

(٨) شرح ديوان حسان بن ثابت (مخطوط)

---

[٢٤] أيضا: ٦–٧.

[٢٥] أيضا: ٥.

ومن أبرز أعماله العلمية شرح ديوان حسان بن ثابت شرحا مفصلا يحوي نحو ألف صفحة وهو مخطوط حتى الآن، وقد بلغ في شرحه إلى قافية الدال ولم يستطع أن يكمله.[٣٦]

(٩) حسام الكلام على صارفي أبي هريرة وأشباهه من الأعلام:

ذكر صاحب نزهة الخواطر رسالة بعنوان "الإنصاف فيما جرى من نحو أبي هريرة من الخلاف" لا أدري أهذه الرسالة هي نفس الرسالة التي نحن بصددها أم هي أخرى، فقد ذكر ابنه أنه قد كتب العلامة رسالة عن نحو أبي هريرة في بداية أمره، فيمكن أن تكون هي أخرى، فإن هذه الرسالة قد اشتهر بين العلماء، وعلق عليها عديد من أساتذة عصره. الأمر الذي يثير الشك في اسم هذه الرسالة هو قول الباحث أجمل فاروق الندوي إن العلامة السورتي كتب هذه الرسالة في الرد على أستاذه الشيخ طيب المكي، إذ لم يذكره ابنه ولا صاحب نزهة الخواطر فيقول: كتب العلامة رسالة رد فيها على أستاذه الشيخ طيب المكي ردا مقنعا الذي كان يرى أن أبا هريرة منصرف وأثبت أنه غير منصرف وأثبته بالدلائل حتى أذعن له أستاذه وأعلن برجوعه عن رأيه. ووجدت في ترجمة مولانا عبد الرحمن الكتهوي قول العلامة السورتي في سبب تأليف هذه الرسالة فقد ذكر اسمه ولم يذكر نقده على أستاذه فيقول:

قال: وقد كتبت في ذلك كتابا حافلا سميته حسام الكلام على صارفي أبي هريرة وأشباهه من الأعلام، ضمنته خلاصة كلام الأئمة النحويين واللغويين، وبينت لغط المخالفين.[٣٧]

(١٠) قواعد عربي (مطبوع) وقد ألف كتابا في علم الصرف باللغة الأردية، وسماه قواعد عربي، طبع في عام ١٣٤٢هـ.

(١١) أحسن الحديث في حجية الحديث.

(١٢) كان له كلف بابن حزم الأندلسي وقد كتب عنه أشياء.

(١٣) ترجمة كتاب التوحيد (مطبوع)

قام بترجمة كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إلى اللغة الأردية، ونشر في دلهي عام ١٣٥٠ هـ وكتب له مقدمة نافعة تشتمل على ذكر أحوال الشيخ محمد

---

[٣٦] محمد السورتي: ٢٧١–٢٧٢.

[٣٧] عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر: ٨/٢٤٥.

ودعوته ومحاسنها في الإصلاح الديني، كما تشتمل على ذكر المشكلات التي واجهته في سبيل الدعوة ونشرها في الجزيرة العربية، على يد الإمام محمد بن سعود ومن بعد ابنه عبد العزيز لمناصرة الدعوة.[٢٨]

(١٤) ذكاة الصيد: وكتاب ذكاة الصيد في أن ما أصابه الرصاص ونحوه بحيوان محرم وشق جلده حلال.

(١٥) قاموس ملي: كان يكتب في آخر عمره معجما من ألفاظ العربية إلى الأردية، وكتبه إلى حرف العين حتى وافاه الأجل. فأكمله ابنه محمد طاهر السورتي.[٢٩]

والتعليقات المفيدة على بعض الكتب مثلا:

(١٦) الزيادات الوافية على الكافية الشافية.

وقد عثرت في مكتبة الجامعة الملية الإسلامية على مجموعة من مخطوطاته في مجلد واحد، تشتمل على كتاب نيل الأرب في قصائد العرب (المعلقات والمجمهرات والمنتقيات والمذهبات والمراثي والملحمات من كل نوع سبع قصائد) والمعلقات السبع وديوان لبيد بن ربيعه العامري وديوان أوس بن حجر. وتوجد على ديوان لبيد بن ربيعة العامري هذه العبارة:

"يقول العبد المفتقر الأحقر إلى الرب الأكبر محمد بن يوسف السورتي أفاض الله عليهما وعلى جميع المسلمين سحائب رحمته الخفي والجلي. هذا ديوان أشعار لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه نقلته من نسخة مطبوعة وزدت عليها أشياء مفيدة".

وتوجد تعليقات قيمة على ديوان أوس بن حجر الخطي. ولكن في جميع هذه المجموعة لا نجد اسمه إلا في ديوان لبيد بن ربيعة ولكن أرى أن كلها من خط السورتي قد نقلها ثم زينها بتعليقاته.

(١٧) شرح سنن ابن ماجه

(١٨) صراط مستقيم (شرح بلوغ المرام باللغة الأردية)

---

[٢٨] محمد بن سعد الشويعر، رابطة ظفر علي خان مع مسلمي الهند، الطبعة الأولى ٢٠٠٣، ٧٣.

[٢٩] محمد السورتي: ٦٧٢.

(١٩) الدعوة والإرشاد إلى سبيل رب العباد: قدم الشيخ السورتي لكتاب "ولي الله" لمؤلفه الشيخ أبي العلاء محمد اسماعيل.

الكودهروي في عام ١٣٤٩ هـ فذكر في ختام هذه المقدمة رسالة سماها "الدعوة والإرشاد إلى سبيل رب العباد".

(٢٠) وقد ذكر مترجموه أنه بدأ تأليف سيرته الذاتية ولكن لم يكمل.

ووقد نشرت عديد من المقالات في "معارف" و"البرهان" و"الجامعة".

من أهم مقالاته:

(١) الانتقاد على سمط اللآلي لعبد العزيز الميمني.

(٢) الانتقاد على سيرة النبي للعلامة شبلي النعماني. [٣٠]

(٣) وبرزخ از روئے قرآن (البرزخ في ضوء القرآن).

(٤) بعض ضروري أحكام (بعض الأحكام الضرورية).

شعره

كان العلامة محمد بن يوسف السورتي شاعرا رقيقا حلو البيان. كان ينظم القصائد الغراء في اللغة العربية. تشبه قصائده بقصائد االشعراء الجاهليين في غرابة ألفاظها ودقة معانيها. وقد مال إلى اسلوب الشعر الجاهلي ببعد غوره في الأدب الجاهلي، ولكنه ذكر الإبداعات الجديدة في أشعاره. وتشتمل معظم أشعاره على الموضوعات الدينية إلا أنه قرض الأشعار في المديح والغزل والعتاب والهجو والرثاء والوصف، ولكنه لا يغلو في أشعاره بنزعته الدينية لذلک لا نجد فيه سفاسف الأمور ولا التكلف والتصنع.

وقال في مكان:

ولست بشاعر السفساف اني ... أبى لي ذلكم ديني وعدي [٣١]

نقل بعض أبياته صاحب نزهة الخواطر قائلا: [٣٢]

ومن أبياته ما كتب إلي من جرول يشكو فيها فتية من الأنصار.

أقول لنفسي في الخلاء ألومها ... لک الويل ما هذا التخشع والذكر

ومن أجل أن خانت عهود کـ عصبة ... يهمهم الدنيا وما إن لهم عذر

---

[٣٠] أيضا: ٦٧٢.

[٣١] أيضا.

[٣٢] نزهة الخواطر: ٨/ ٤٠٥-٤٠٦.

فهم بسطوا تلك الأماني حقبة | فلما اطمئن الأمر واستحصد الأمر
وبانت بنات الشوق يحنن نزعا | وضم الحشا منها الحباب فلا صبر
وكانوا طويلا يأملون خيانتي | فما اخنت يوما ولا غالهم مكر
على غير شي قلبوا الي مجنه | وضحوا بقلبي ضحية ما لها نكر
ولم يرقبوا ولا الدين راعهم | ولا سطوة الله العزيز ولا العذر
ولا رحموني إذ منيت بشقوة | ولا حفظوا في الوداد فما دروا
أتشكوا فما الشكوى تفيد ولا البكاء | بمغن فتيلا لا ولا شأنك الختر
ولا أنت ممن يكثر القين في الخنى | ولا دأبك التملاق يوما ولا الهجر
أم السلو والهجران من غير بغضة | أحب بلى إن السلو له أصر
وكم قد منيت من زمان بغصة | وفجع ونقض فاصطبرت لها صخرا
فلا تشمتي الأعداء يا نفس إنني | صبور على العسراء إن غرني دهر وقق

وقال في قصيدة المدح مطلعها[٣٣]

ودع أمينة حان منك رحيل | وأخو الصبابة للوداع يميل

ثم يذكر بعد التشبيب القطار بدلا من الإبل ويسميه "ريل" كما يقال في الأردية.

فإذا عرتك من الزمان ملمة	فنجاة أمرك فيه هذا الريل
فاركبه من سار على علاته	يطأ الآكام لهن من الليل
يمشي على كرة يضج تأوها	كغمامة قصف لها تزجيل
تمشي الرياح وراءه وكأنها	وكأنه قطم تلته افيل
دعابة في سيره جوابة	فالليل والأيام فيه مثيل
وأمامه حاد أصم كأنه	جن بدا بمهامه مغلول
يستاقه في شدة وصرامة	نار وماء في حشاه ثميل
يطوي البلاد قفاره وبحاره	وسهوله وعوره فيجول
هذا الذي يمشي بنا متحزما	عند الأمير له الندى وأصول

وتغلب عليه النزعة الدينية عندما يمدح الممدوح فراح ينصحه:

[٣٣] محمد السورتي: ٦٧٢، ٦٧٣.

أما المعازف والملاهي كلها	فبمثل أمرك ينبغي التبديل
يا حبذا إن كنت تسعى في الهدى	تعليم دين الله وهو وسيل
القوم أصبح علمهم بطلانهم	هجروا الكتاب فما إليه سبيل
فأين المدارس للكتاب ونشره	والسنة الغراء فهي أصيل
يا أيها الملك العزيز جنابه	الدهر فان فاعلمن وغول
فاعمل لربك شاكرا امتبصرا	ترضى مغبته غداة تحول
واعلم بأنك قائم يوما لدى	رب الأنام تجاهه فتقول
ماذا تقول غداة تلقى أحمدا	والدين مهجور الفناء ذليل

قال في رثاء أستاذه الحبيب الشيخ محمد طيب المكي ثمانين بيتا[٣٤]

ألا إنما الدنيا بلاء ومعطب	فليس سوى عليب بها الدهر مطرب
ألا إنما الدنيا رزايا وحسرة	وزور أمان ليس عنهن مذهب
لبيك أبا عبد الجليل سميدع	لكل معان باكرات تقضب
ويبكيه علم الدين والشعر واللغى	وروضة آداب تسقى فتخصب
ليبكك علم الدين والفسرانه	غريب بهذا العصر يدمى ويسحب
لقد كان يبدي الحق محضا لطالب	ويزري بأقوال سخاف ويضرب
إذا اعضلت بالقوم عقدة آية	رماها بقول صائب فتشعب

يقول في مدح أهل الحديث[٣٥]

أهل الحديث عصابة نبوية	ترضى بفعل المصطفى وبأمره
وتحط رأي الناس أو أقوالهم	حط السيول الصخر أعلى صخره

يقول في لقب الوهابية:

إن كان هدي محمد وسبيله	ذاك التوهب فادعني وهابيا

***

[٣٤] تذكرة كاملان رامفور، خدابخش اورينتل لائبريري بتنه، ١٩٨٦، ١٨٤.

[٣٥] محمد السورتي: ٦٧٣.

تعريف وتنويه

انطباعات عن كتاب
جائزة الأحوذي في التعليقات على سنن الترمذي

الشيخ المحدث عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل العقيل، حفظه الله

كتاب "جائزة الأحوذي في التعليقات على سنن الترمذي" من مطبوعات إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، بنارس، الهند، وقد تم طبعه في عام ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م في أربعة أجزاء، ومجموع عدد صفحاته: ٢٨٥٠.
وقد تفضل العلامة المحدث الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل العقيل، الرئيس السابق للهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى بالمملكة العربية السعودية، حفظه الله وتولاه، بكتابة انطباعاته عن الكتاب، فأشاد به وبمؤلفه وثمن جهوده، ولأهمية هذه الكتابة وكاتبها نتحف بها قراء المجلة.

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه، وبعد:

فقد اطلعت على هذا السفر القيم: (جائزة الأحوذي في التعليقات على سنن الترمذي) تأليف الشيخ أبي نصر ثناء الله المدني فوجدته كتابا حافلا في بابه، اعتنى فيه مؤلفه بديوان عظيم من دواوين السنة ألا وهو كتاب جامع الترمذي، حيث قام بشرحه شرحا من النوع السهل الممتنع، وقد قدم لهذا الشرح بمقدمة طيبة يحسن لمن أراد الاعتناء بجامع الترمذي أن يقرأها حتى يقف على أهمية هذا الكتاب، وقد ضمن المؤلف هذه المقدمة نقاطا مهمة، حيث بين مكانة السنة النبوية، ورد على المبتدعة الذين يرون الاقتصار على القرآن وعدم الأخذ بالسنة، وبين مكانة علماء الحديث وجهودهم العظيمة في خدمة سنة رسول الله ﷺ، ونقل كلاما لأهل العلم فيه بيان لأهمية جامع الترمذي ومميزاته التي امتاز بها عن بقية دواوين السنة، وأن عدد العلوم التي حواها بلغت أربعة عشر علما، ثم أشار إلى بعض العلماء الذين قاموا بخدمة هذا الكتاب العظيم.

وبين المؤلف نسخ سنن الترمذي التي اعتمد عليها، وكذا نسخ علل الترمذي، وبين منهجه في تصحيح الكتابين، والذي يدل على الجهد الكبير الذي بذله.

وهذا الشرح الذي بين يدي القارئ كما بين المؤلف في مقدمته هو اختصار وتهذيب لكتاب: (تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي) للعلامة محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، وقد بين المؤلف طريقته في الاختصار، وأهم ما فيها إصلاح المواضع التي فيها أخطاء عقدية تتعلق بتوحيد الأسماء والصفات نقلها المباركفوري من كتب الأشاعرة والماتريدية، حيث قام المؤلف بتعقب ذلك وإثبات عقيدة السلف الصالح، وكذلك استدرك المؤلف الأحاديث التي لم يشرحها المباركفوري وقام بشرحها. ثم إن المؤلف لم يقتصر على اختصار وتهذيب تحفة الأحوذي، بل ألحق بذلك فوائد جمعها من كتب أخرى، كفتح الباري لابن حجر، وتفسير ابن كثير، وإرواء الغليل للألباني، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، وغير ذلك من أمهات الكتب، بحيث أن المؤلف إذا ذكر الفائدة أحال مباشرة أمامها على المرجع، وجعل الإحالة بين قوسين.

وقد زيّن المؤلف كتابه بنقل فتاوى بعض علماء العصر في مسائل رأى أنها تحتاج إلى ذلك، من ذلك فتاوى الشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ الألباني، والشيخ عبد الله الروبري، رحمهم الله، وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فأتى بالجديد المفيد، كاسيا شرحه حلة خاصة جعلته يمتاز بين باقي كتب الشروح.

وقد اهتم المؤلف بمسألة معرفة درجة الحديث صحة وضعفا، حيث ينقل درجة الحديث بعبارة مختصرة قبل ذكر متنه، واضعا الحكم بين قوسين، ثم بعد ذكر متن الحديث يقوم بالإحالة على الكتاب الذي نقل منه الحكم، جاعلا ذلك بين عارضتين، مما يسهل على القارئ الوصول إلى معرفة درجة الحديث.

وقد جاء هذا الشرح وسطا بين باقي الشروح، فلا هو بالطويل الممل، ولا هو بالقصير المخل، حيث جاء حجم الشرح متناسبا مع حجم المتن، بحيث أن القارئ يقرأ في الصفحة الواحدة المتن ويقرأ شرحه، مما يجعل ذهنه حاضرا فيسهل عليه فهم الشرح.

ولذا فإني أوصي إخواني وأبنائي بقراءة هذا الشرح والاستفادة منه، فمؤلفه بذل جهدا عظيما في إخراجه وتقريبه للقراء، فجزاه الله خيرا على جهوده المباركة، ونفع بمؤلفه، إنه سميع مجيب. وكتبه الفقير إلى الله: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقا، حامدا الله، مصليا مسلما على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين. (٣/٣/١٤٣٠هـ)**

تعريف وتنويه:

قراءة في كتاب "الشيعة والسنة" للأستاذ إحسان إلهي ظهير

شفيق الإسلام
جامعة جواهر لال نهرو، دهلي

ظهر هذا الكتاب أول مرة في ٢٢ مايو ١٩٧٣م ونشره إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان. أما محتويات هذا الكتاب فهي تتمثل في الأسطر التالية:

يشتمل الباب الأول من الكتاب على بيان أن الإسلام أحرز فتوحات مدهشة في أيامه الأوائل، فحاك اليهود مؤامرات خطيرة لإيقاف سيل هذه الفتوحات لكنها فشلت، فلجأوا إلى طريقة جهنمية وهو إفساد الدين الإسلامي، بطرق كثيرة، ومنها إنشاء جماعة باسم "شيعة علي".

فتكونت الجماعة المذكورة تحت قيادة عبد الله ابن سبا "يتظاهرون الإسلام ويبطنون الكفر، وينشرون بين المسلمين عقائد وآراء يهودية"[1] ومن أعمال هذه الجماعة أنها تآمرت على الخليفة الثالث وتسببوا في قتله كما تسببوا في تحارب المسلمين وتقاتلهم في زمن علي (رضي الله عنه). وإنهم غرسوا الضغائن في قلوب الناس ضد أبي بكر وعمر ومعظم الصحابة (رضي الله عنهم) وكفروهم، وقاموا بترويج العقيدة اليهوية وهي عقيدة الوصاية، ونشروا الأفكار اليهودية الأخرى، كالرجعة، وعدم الموت، وملك الأرض، والقدره على أشياء لا يقدر عليها أحد من الخلق وغير ذلك من الأفكار والمعتقدات.

إن عقيدة الشيعة في الصحابة عقيدة خاطئة وظالمة. وإنهم لجأوا إلى تأويلات فاسدة لإثبات عقيدتهم وطعنهم في أصحاب الرسول (رضي الله عنهم).

ومن هذه التأويلات الخاطئة. رواية الكليني "عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله عز وجل: {إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم}، قال: نزلت في فلان وفلان آمنوا بالنبي (صلى الله عليه وآله) في أول الأمر وكفروا حيث عرضت عليهم ـــ الولاية حين قال النبي (صلى الله عليه وآله): من كنت مولاه فعلي مولاه، ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين

---

[1] الشيعة والسنة ص ٢٤.

(عليه السلام) ثم كفروا بحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلم يقروا بالبيعة، ثم ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعه بالبيعة لهم فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء". [١]

وهكذا لم يتركوا معظم الصحابة إلا كفروهم أو طعنوا فيهم. "فهذه هي عقيدة القوم من أولهم إلى آخرهم كما رسمها اليهود لهم حتى صار دينهم الذي يدينون به، دين الشتائم والسباب ولكنهم لم يكتفوا بالسباب والشتائم على عدد كبير من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بل هوت بهم هاوية حتى كفروا جميع أصحاب رسول الله (عليه السلام) إلا النادر منهم، فهذا هو الكشي أحد صناديدهم يروي عن أبي جعفر أنه قال: كان الناس أهل الردة بعد النبي إلا ثلاثة، فقلت ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، . . . وذلك قول الله عز وجل "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم"[٢]

والعجب كل العجب أين ذهب علي والحسن والحسين وبقية أهل البيت، وعمار وحذيفة وعمرو بن الحمق وغيرهم.

فانظروا ماذا تريد اليهودية من وراء ذلك."[٣]

وبعد كل هذا، ساق المؤلف أحاديث كثيرة صحيحة ومقبولة في فضائل أصحاب النبي ـ عليه السلام ـ ومنها قوله ـ عليه السلام ـ ولا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه". [٤]

انتشر التشيع في إيران أكثر من انتشاره في البلاد الأخرى. فما سبب ذلك؟ يقول المؤلف مبيناً السبب.

"ولما افتتح إيران على يد الفاروق الأعظم، ومزق جموعها، وكسر شوكتها، وهدم ملوكيتها نقم أهل إيران على الفاروق، ورفقته، وجنوده؛ لما جبلوا على الملوكية وأشربوا حبها، فوجد يهود الفارس مزرعة خصبة لغرس بذور الفتنة فيها، وكان من الاتفاقات أن ابنة يزدجرد ملك إيران "شهر بانو" زوجت من حسين بن علي (رضي الله عنهما) بعدما جاءت مع الأسارى الإيرانيين. فلما دبر اليهود لأمير المؤمنين وخليفة المسلمين عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وتترسوا بعلي (رضي الله عنه) بدون إذن منه ومعرفة، وادعوا الولاية والخلافة لعلي وأولاده،

---

[١] الكافي في الأصول، كتاب الحجة ص ٤٢٠ ج١ ط ايران، نقلاً عن الشيعة والسنة، ص ٤٢

[٢] رجال الكشي، ص ١٢، ١٣، نقلاً عن الشيعة والسنة، ص ٤٢

[٣] الشيعة والسنة ص ٥٠

[٤] متفق عليه، نقلاً عن الشيعة والسنة ص ٥١

تعاونهم أهل إيران نقمة على الفاروق ورفقته وأصحاب الرسول الذين فتحوا إيران، وعثمان الذي وسع نطاق الفتوحات الإسلامية، وأقام اعوجاجهم ونفى بغاتهم. فأبدى أهل إيران الاستعداد لمعاونة تلك الطائفة اليهودية، والفئة الباغية، وخاصة بعدما رأوا أن الدم الذي يجري في عروق علي بن الحسين الملقب بزين العابدين وفي أولاده دم إيراني من قبل أمه "شهربانو" ابنة يزدجرد ملك إيران من سلالة الساسانيين المقدسين عندهم.

فلأجل هذا دخل أكثر أهل فارس في الشيعة لما يجدون فيها التسلية بالسباب على الصحابة، وعمر، وعثمان، فاتحي إيران، ومطفيء نار المجوسية فيها".[١]

معتقدات الشيعة:

الولاية:

يظهر من النصوص الشيعية أن معنى الولاية أن الله جعل علياً (عليه السلام) ولياً له. وروي عن حبة العوفي أنه قال، قال أمير المؤمنين (علي):

"إن الله عرض ولايتي على أهل السماوات وعلى أهل الأرض، أقر بها من أقر، وأنكر من أنكر، أنكرها يونس (عليه السلام) فحبسه الله في بطن الحوت حتى أقربها"[٢]

البداء:

ومن الأفكار الشيعية أنه يحصل لله البداء أي النسيان والجهل.[٣]

الرجعة:

الشيعة يعتقدون برجوع أئمتهم بعد الموت.

عقيدتهم في أئمتهم:

جعل الشيعة "أئمتهم فوق البشر، وفوق الأنبياء والرسل، بل آلهة يعلمون أعمار الناس وآجالهم، ولا يخفى عليهم خافية، ويملكون الدنيا كله، ويغلبون على جميع الخلق، ويرتعد الكون من هيبتهم وشدة بأسهم، [و] يدين لهم الملائكة كما دان لهم الأنبياء والرسل، ولا يضاهيهم أحد".[٤]

قد أثبت المؤلف المعتقدات المذكورة من كتب الشيعة الموثوق بها لديهم.

---

[١] الشيعة والسنة، ص٥٥-٦٥

[٢] بصائر الدرجات، ص١ج٢ط إيران نقلاً عن الشيعة والسنة ص٥٩

[٣] راجع للتفصيل الشيعة والسنة ص٦٣

[٤] الشيعة والسنة ص٦٥

والباب الثاني من الكتاب حول موضوع الشيعة والقرآن. ويذكر المؤلف في هذا الباب عقيدة الشيعة في القرآن الموجود لدى المسلمين. فيعتقد الشيعة أن القرآن الذي أنزل على محمد كان عدد آياته سبعة عشر ألف آية، وليس ذلك فحسب بل القرآن الذي يوجد في هذه الأيام مشتملاً على آيات لا تتجاوز ستة آلاف آية، أكثره محرف. وقد حرفه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وكان يوجد لدى علي (رضي الله عنه) القرآن الحقيقي، ثم رفع، وسيعود به مهديهم المزعوم عند ظهوره.

أما التحريف في القرآن الكريم فلم قالوا بالتحريف فيه؟ يرى الأستاذ ظهير أنهم قالوا به لأغراض منها أهمية الإمامة عندهم والطعن في معظم أصحاب الرسول (عليه الصلاة والسلام)، والإباحية. إلا أن عدداً قليلاً من علماء الشيعة قد أنكروا التحريف منهم محمد بن علي بن بابويه (من علماء الشيعة في القرن الرابع الهجري)، والسيد المرتضى الملقب بعلم الهدى المتوفى سنة ٤٣٦هـ، وأبو جعفر الطوسي (ت: ٥٦٠هـ) و أبو علي الطبرسي المفسر الشيعي (ت: ٥٤٨هـ) ويرى الأستاذ ظهير أن هؤلاء "الأربعة أيضاً ما أنكروا التحريف في القرآن وأظهروا الاعتقاد به إلا تحرزا من طعن الطاعنين، وتخلصاً من إيرادات المعترضين..."[١]

وأما رواة الشيعة فيقول عنهم الأستاذ إحسان إلهي ظهير: "وأما الشيعة فلا يوجد عندهم قول في مسألة إلا ويخالفه قول آخر حتى لا يوجد راوٍ من رواتهم للحديث إلا وفيه قولان، قول يوثقه، وقول يضعفه، ولا يضعفه فحسب بل يحطه في أسفل السافلين ويجعله من ألعن الملعونين".[٢]

هذه هي زبدة ما طرحه الأستاذ احسان إلهي ظهير من آراء وما وصل إليه من النتائج حول الشيعة في كتابه القيم "الشيعة والسنة". ومن خلال دراسة عمله هذا، يتضح لنا منهجه في معالجة مذهب من المذاهب المنتسبة إلى الإسلام. فعندما أراد أن يكتب عن جماعة من الجماعات المنتسبة إلى الإسلام، جمع كلما استطاع أن يجمع من المصادر الأولية حولها ثم درسها دراسة واعية مستوعبة، ثم قدم نتائجها في صورة كتاب قيم يحتوي على آراء مصحوبة بأدلة داحضة.

***

---

[١] الشيعة والسنة، ص ١٢٨

[٢] الشيعة والسنة ص ١٧٤

ركن الطلاب

الصحابة رضي الله عنهم

عبد الفتاح عبد الودود
السنة الثالثة للفضيلة
بالجامعة السلفية، بنارس

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه الامين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

هذه كلمات عديدة عن تلكم النفوس التي كانت أفضل التلاميذ في مدرسة أفضل الرسل، في أفضل القرون، فبلغت من العلم هامة الجوزاء، ومن الفضل والشرف علياء السماء، ومن التقى والورع فوق الأخيلة.

تلكم النفوس التي كانت معلمة الأجيال ومدرسة الأمم، حملت شعلة العلوم والمعارف إلى آفاق الكون وأطراف العالم، وأخرجت من العلماء من استضاءت بهم الدنيا، ومن النبغاء من احتذتهم العصور، جلست الأمم عربها وعجمها، شرقيها وغربيها، أمامها جلسة الأطفال بأعين الأستاذ.

أولئک هم الصحابة رضي الله عنهم ورضوا عنه، تعلموا في مدرسة النبي العربي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم، واستقوا من ينبوعه الثر، فعادوا أنهارا صافية ترتوي منها الجداول والغدران.

هؤلاء هم الصحابة، فاضت صدورهم مكنوز النبوة ودقائق الشريعة ونطقت جوارحهم بما في صدورهم من العلوم والمعارف، حتى أصبحوا أسوة صالحة للبشرية جمعاء، وصاروا رسلا للإسلام والإيمان، والخير والصلاح والفوز والفلاح في كل زمان ومكان {فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم} (البقرة:٣٧) كانوا اقوادا أظافر في ساحات الوغى، لم يدرک اليأس سبيلا إلى قلوبهم حتى في أشد أهوال الحروب، ملأوا تاريخ الحروب بأنواع البطولات وفنون المغامرات، وأقاموا أمثلة للبطولة الإسلامية ما قد عجز عنها العالم، لم ير التاريخ في حاضره ولا

في ماضيه أمثال خالد وسعد وعمرو رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، قد رفعوا راية الإسلام في أحرج الأحوال بأيد شلاء دامية، وربما بأيد مقطوعة، يا لها من تضحيات ويا لها من بطولات!

ضحوا في سبيل دينهم أولادهم وأموالهم وأوطانهم حتى نفوسهم التي بين جنباتهم {الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون} (التوبة:٢٠)

كانوا أصحابا أصفياء للنبي صلى الله عليه وسلم لم يحظ أحد بمثلهم أبدا، أقاموا من أجسادهم في ميادين الحروب وقاء للنبي ﷺ تجاه سهام العدو ورماحه، قال إسماعيل بن قيس: "رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ" (البخاري مع الفتح، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ٤٤٩/٧، ح: ٤٠٦٣، ط: دار السلام الرياض ١٤٣١هـ، ٢٠٠١م)

هؤلاء أصحاب محمد ﷺ لو تصفح أحد تاريخ الوفاء والصفاء والحب والإيثار والتفاني في سبيل المبدأ والغاية، والاستماتة لوجه الله تعالى لما وجد أمثالا تقاربهم فضلا أن تزاهيهم، قال النبي ﷺ: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته". (البخاري مع الفتح، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ٦/٧، ح: ٣٦٥١)

هؤلاء هم الصحابة تزلزلت بوطئهم الجبال الرواسي ذات القمم الشوامخ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد أحدا وأبوبكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: "اثبت فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان". (البخاري مع الفتح ٢٨/٧، ح: ٣٦٧٥)

فيا من يشتم أصحاب النبي ﷺ الأوفياء ويريد الغض من شأنهم، راجع نفسك، فإنك مهما تمنيت على الدهر أن تأفل نجومهم البازغة في سماء المجد والخلود لن تستفيد شيئا، أنت كمن بصق الشمس فتراجع البصاق على وجهه، وهل تجهل أنه لا يضر السحاب نباح الكلب!؟ قال نبي الله ﷺ: "لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه". (البخاري مع الفتح ٢٧/٧، ح: ٣٦٧٣)

تسعى أن تنال من أعراضهم وأن تحط من قدرهم وقد شهد بفضلهم وعلو شأنهم لسان النبوة.

ويا من يقيم نفسه حكما بين الصحابة رضي الله عنهم في مواقفهم الاجتهادية، فيكفر بعضا ويخطئ آخرين، ها هي الكتب السماوية تشيد بذكرهم وتنوه بشأنهم وتصطلح على صفاء قلوبهم ونقاء سريرتهم وطهارة سيرتهم وقداسة نفوسهم، كما قال عز من قائل: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما} (الفتح: ٢٩)

والله ما تلا هذه الآية أحد ذو بصيرة وإيمان إلا أقر بفضلهم وآمن بعلو شأنهم.

من منا من قام بما قام به الصحابة رضي الله عنهم من بذل النفوس والنفائس في مرضاة الله والرسول صلى الله عليه وسلم؟ وهل أحرز أحد ما أحرزه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم من الإنجازات في صالح الإسلام والمسلمين؟ وهل بلغ أحد ما بلغوه من الإخلاص والإيثار والورع والتقى والنصح للإسلام وعامة المسلمين؟

كلا! لن يبلغ أحد مد أحدهم ولا نصيفه كما أخبرنا به الصادق المصدوق ﷺ.

نحن نجل أصحاب الرسول ﷺ فوق كل الإجلال، ونعد ذلك من الإيمان والإسلام، ونحسبه فلاح ديننا وصلاح أولانا وأخرانا، فإن النبي ﷺ قال: أنت مع من أحببت. (البخاري مع الفتح ٧/٥٤، ح: ٣٦٨٨)

نحبهم حبا يملك علينا قلوبنا ومشاعرنا، ونقتفي آثارهم ونحذو حذوهم، لأنهم أصحاب محمد ﷺ، حسبهم ذلك فضلا وكفى.

***

من أخبار الجامعة

وفد نصراني في زيارة للجامعة السلفية للتعرف على الإسلام

قام وفد نصراني بزيارة للجامعة السلفية عصر يوم الخميس ٢١/١١/١٤٣٢هـ = ٢٠/١٠/٢٠١١م، وكان الوفد مكونا من عشرة أشخاص، معظمهم ينتمون إلى الولايات الجنوبية للهند. وبعضهم كان ينتمي إلى ماليزيا. وكانت الكنيسة المحلية قد أخذت موعدا لهذه الزيارة وأبدت رغبتها في تزويد الوفد بمعلومات تعريفية عن الإسلام ومبادئه.

وقد تم عقد حفل بهذا الخصوص في قاعة الاجتماعات بالجامعة، بدئ بتلاوة آي من القرآن الكريم بصوت الطالب أسعد الرحمن، من الصف الثاني للعالمية، وترجمة هندية لمعاني الآيات قام بها الطالب القارئ أيضا، ثم رحب كاتب هذه السطور بالوفد في الجامعة، وشكرهم على ثقتهم بالجامعة وعلى غرضهم النبيل لهذه الزيارة. ثم تحدث —باختصار— عن عقائد الإسلام وركز على أهمية التوحيد ونبذ الشرك، وبيان أنه دعوة جميع الرسل بمن فيهم موسى وعيسى عليهم الصلاة والتسليم. ثم تكلم فضيلة الشيخ نعيم الدين المدني، شيخ الجامعة السلفية، عن الأخلاق الإسلامية، وذكر تعليمات الإسلام بهذا الخصوص، والنماذج التطبيقية لهذه التعليمات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والمؤمنين من بعدهم.

وبعد ذلك ألقى فضيلة الشيخ عبد الوهاب الحجازي، المدرس بالجامعة السلفية كلمة موجزة تناول فيها شرح أركان الإسلام في ضوء حديث: بني الإسلام على خمس... الخ وأكد على ملاحظة التجرد والإخلاص لله وحده في جميع العبادات والأعمال. ثم أفسح المجال أمام أعضاء الوفد لأسئلتهم واستفساراتهم، فقدموا عديدا من الأسئلة حول مشابهة الكتب السماوية، والجهاد وطرق العبادة، أجاب عليها الأساتذة، وقد شارك طلاب الجامعة من مرحلة الفضيلة أيضا في النقاش والرد على الأسئلة.

استمر الحفل إلى أذان المغرب، ثم أبدى أعضاء الوفد رغبتهم في مشاهدة كيفية أداء الصلاة، فحضروا في مسجد الجامعة وشاهدوا المصلين وهم يؤدون صلاة المغرب جماعة في المسجد. وقد قدمت إليهم بعض مطبوعات الجامعة باللغة الهندية، المشتملة على بيان أحقية الدين ومحاسن الإسلام.

وقد أبدى الوفد عن فرحه وسروره بهذه الزيارة وما لقيه من العناية والاهتمام بالجامعة. وقد حضر هذا الحفل إلى جانب الأساتذة المذكورين سعادة الأستاذ أحمد حسين البستوي وعدد من طلاب السنوات الثلاث لمرحلة الفضيلة أيضا. (الأعظمي)

***